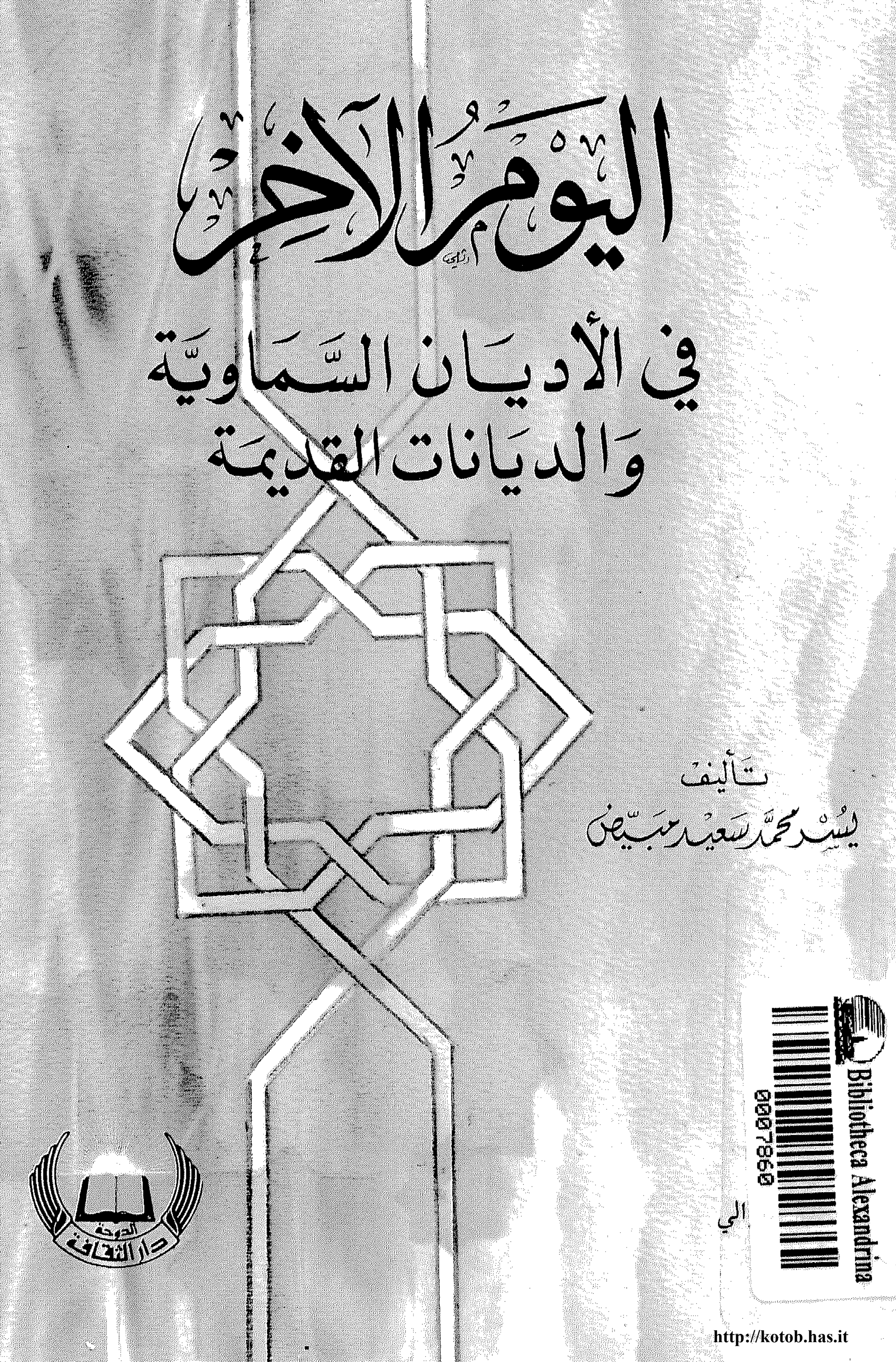


اليوم الآخر
في الأديان السماوية
والديانات القديمة
تأليف
يسر محمد سعيد مبيض
دار الثقافة
الدوحة



في الأديان السماوية والديانات القديمة

تأليف
يسر محمد سعيد مبيض

نشر
مكتبة الغزالي
ادلب

توزيع
دار الثقافة
قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى والدي اللذين ضحيا وكابدا من أجلي
إلى زوجي الذي لم يدخر جهداً لمساعدتي
إلى زينة الحياة الدنيا من بني وأهلي
إلى الشام بلدي
أقدم هذه الثمرة المتواضعة من جهدي

يُسْر

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
دار الثقافة
الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

قسم الكتاب

تلفون: مبيعات : ٤١٣٤٧١ إدارة : ٤١٣١٨٠ فاكس : ٤١٨١٢٠
تلكس (٤٣٥٤) برقياً : سالم - ص. ب (٣٠٣٢٩)

سجل تجاري (١٦٩٦)
الدوحة - قطر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بين يدي البحث

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله خاتم المرسلين، وشفيعنا يوم الدين والهادي إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. . وبعد:

فإن الدين عند الله الإسلام ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥) فالإسلام منهج حياة متكامل ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة - ٣). تقوم فلسفته على أسس متينة هي:

(١) - الإيمان بوجود الله، الأول والآخر، والمحيي والمميت وهو على كل شيء قدير.

(٢) - الإيمان بالملائكة، الاجسام النورانية الذين: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم - ٦).

(٣) - الإيمان بالكتب السماوية، منهج الحياة وشريعة العدل، ومبعث الأخلاق قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (البقرة - ٢٨٥).

(٤) - الإيمان بالرسل الدعاة إلى الله يبلغون الرسالة ويؤدون الأمانة

ويجاهدون في الله ويرشدون إلى الطريق المستقيم.

(٥) الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى والذي فيه معنى الرضا والتسليم بما كتب الله وقدر ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ (القمر ٤٩ - ٥٠).

(٦) - الايمان باليوم الآخر، يوم الحساب، يوم العدل، يوم ينال فيه الذين استضعفوا حقهم من الذين استكبروا يوم يكافؤ المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على ما اقترفت يداه. وهو يوم يخلد فيه المؤمنون في نعيم مقيم، والجاحدون الظالمون في عذاب أليم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذاب جهنم فيستريحوا.

والحياة في التصور الإسلامي ليست هي الفترة القصيرة من عمر الإنسان، إنها تمتد طولاً في الزمان فتشمل الحياة الدنيا والحياة البرزخية والحياة الآخرة، وتمتد في المكان فتشمل السماوات والأرض التي نعيش فيها - وتشمل الدار الآخرة بما فيها من جنة عرضها كعرض السماوات والأرض. ونار تضم العصاة والكافرين من كافة الأجيال على مدى هذه الحياة يهوي بها العاصي سبعين خريفاً أعاذنا الله منها ونجانا من عذابها.

بينما يتضاءل تصور غير المسلمين في هذه الحياة حتى ينحصر في هذه الدنيا المحدودة الأجل فيقولون: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ (الجاثية - ٢٤).

من هذا الاختلاف في التصور: تختلف القيم والمفاهيم ويتحدد السلوك في الحياة الدنيا، ولهذا وصف الله سبحانه وتعالى سلوك اليهود والذين أشركوا في هذه الحياة، بقوله: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ (البقرة - ٩٦). أية حياة، لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مميزة على الإطلاق - حياة فقط - ذلك أنهم لا يرجون لقاء الله، ولا يحسون أن لهم حياة غير هذه الحياة (ظلال القرآن ١ / ١٢٢).

بينما ينطلق المسلم من مفهومه الواسع في الحياة إلى حب الخير ومقاومة الظلم، والتضحية في سبيل المثل الإنسانية ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ (الأنفال - ٣٩).

إن التباين الواضح في سلوك الأمم والشعوب القديمة والحديثة يرجع إلى

عقيدة اليوم الآخر يوم الحساب والجزاء. ونظراً لأهمية هذه العقيدة في حياة الأمم والشعوب، فقد اخترتها عنواناً لدراستي هذه وتعرضت فيها إلى معتقدات الأمم القديمة في ذلك وإلى عقائد أهل الكتاب يهوداً ونصارى ثم فصلت في عقيدة اليوم الآخر لدى المسلمين لما في ذلك من فائدة ومصلحة للمجتمع الانساني والإسلامي جميعاً.

والله أسأل أن أوفق في عرض هذا البحث على الوجه الذي يرضي الله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود - ٨٨).

المؤلفة

الفصل الأول

الأدلة النقلية والعقلية على اثبات اليوم الآخر

لقد التقى أصحاب العقول الراجحة على القول بالبعث والنشور والثواب والعقاب وإن اختلفوا في كيفيتها. ولم يشذ عن ذلك إلا المستهترين من الدهريين الذين يقولون: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية ـ ٢٤).

أولاً ـ الأدلة النقلية:

دل القرآن الكريم، كما دلت السنة المطهرة على الإيمان باليوم الآخر، ثم جاء العقل السليم، ليؤكد هذا الإيمان الذي هو من الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

[١] الأدلة من القرآن الكريم

أ ـ الأخبار المؤكدة: إن أعظم الأدلة على وقوع المعاد، هو إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك، فقد نوّع سبحانه أساليب الأخبار بوقوع المعاد ليكون أوقع في النفوس وآكد في القلوب.

ـ فقد أخبرنا سبحانه بوقوع ذلك اليوم مؤكداً بكلمة أن أو بأن واللام: قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾(طه ـ ١٥)وقال أيضاً: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ (الأنعام ـ ١٣٤).

ب ـ القسم عليه: ويقسم الله تعالى على مجيء يوم القيامة ووقوعه

فيقول: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ (التغابن - ٧) - وقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ ﴾ (النساء - ٨٧).

ج - ذم المكذبين: - ويذم تعالى المكذبين بالمعاد بقوله:

﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ (يونس - ٤٥).

د - مدح المؤمنين: - ويمتدح الله سبحانه في بعض الآيات المؤمنين بيوم القيامة فيقول:

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ (٨) رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ (آل عمران ٧ - ٩).

هـ - التأكيد على حصوله وأنه وعد صادق وأجل لا ريب فيه فيقول: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ (الحج ٦ - ٧). ويقول: ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴾ (هود ١٠٣ - ١٠٤).

- وفي بعض الأحيان يخبر عن مجيئه واقترابه فيقول: ﴿ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا (٦) وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴾ (المعارج - ٦)، وقال: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ (القمر - ١).

و - عجز غيره عليه: وفي موضع آخر يثني الله على نفسه بإعادة الخلق بعد موتهم ويذم الآلهة التي يعبدها المشركون لعدم قدرتها على الخلق وإعادته: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴾ (الفرقان - ٣)، وقوله أيضاً: ﴿ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (النمل - ٦٤).

ز - سهولته على الله - وفي مواضع أخرى يبين جل وعلا أن هذا الخلق وذاك البعث الذي يعجز العباد ويذهلهم سهل يسير عليه جل شأنه: ﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ ﴾ (لقمان - ٢٨)، وقال أيضاً: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ (٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ (القيامة ٣ - ٤).

وبهذا نرى أن القرآن الكريم من فاتحته إلى خاتمته مليء بذكر أحوال اليوم الآخر وتفاصيل ما فيه وتقرير ذلك بالأخبار الصادقة والأمثال المضروبة للاعتبار والارشاد.

[٢] - نقل القرآن الكريم لوقائع أحياء في تاريخ الأديان، منها:

(١) - قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فلم يحتمل عقله إمكانية إحيائها فتشكك في ذلك فأماته الله مئة عام ثم بعثه فلم يعد أمامه في ذلك شك فأذعن وآمن وقال أن الله على كل شيء قدير قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة - ٢٥٩).

(٢) - قصة الفتية المؤمنين الذين لجأوا إلى أحد الكهوف فراراً بدينهم من بطش السلطان الجائر فأماتهم الله ثلاث مئة سنة وازدادوا تسعاً ثم بعثهم: (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً) وما أن دخل المدينة حتى وجد الناس غير الناس والحاكم غير الحاكم وأدركوا الحقيقة: أن الله أماتهم وأحياهم (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها. إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا إبنوا عليهم بنياناً [بعد موتهم الثاني] ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا).

(٣) - حياة بني إسرائيل بعد أن صعقهم الله فماتوا حين اشترطوا على موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة لكي يؤمنوا به قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة ٥٥ - ٥٦).

(٤) - إحياء الله تعالى للطيور التي قطعها سيدنا إبراهيم ووضع كل جزء على جبل ثم دعاها بأمر الله تعالى فاجتمعت أجزاء الطيور وعادت الحياة إليها

بقدرة الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة ـ ٢٦٠).

ط ـ الرد على شبهات الفلاسفة بأن اليوم الآخر عقيدة الأديان السماوية جميعها وغير السماوية :

لقد اتفق الأنبياء على الإيمان بالله تعالى خالق كل شيء. والإقرار بوجود الله تعالى هي العقيدة السائدة بين بني البشر لموافقتها للفطرة السليمة ولم يشذ عنها إلا مكابر ولكن الإيمان باليوم الآخر ينكره الكثيرون نظراً لخلو الأناجيل والتوراة من تفصيل لأحداث ذلك اليوم العظيم.

ونظراً لأن القرآن الكريم هو وحده الذي تعرض إلى فكرة الإيمان باليوم الآخر وبالتفصيل دون غيره من الكتب السماوية السابقة التي خلت إلا من إشارات للحساب والعذاب فقد اندفع بعض الفلاسفة الجاحدين إلى القول بأن اليوم الآخر إنما هو من خيال محمد بن عبد الله ولكن القرآن الكريم دحض افتراءات هؤلاء الجاحدين لأن خلو الكتب المقدسة التي عبثت بها يد القسيسين والرهبان لا تفيد عدم وجود هذه العقيدة التي تعتبر أساساً في الدعوة إلى الله لدى سائر الأديان السماوية وها هوذا يستعرض الآيات المؤكدة لوجود عقيدة اليوم الآخر لدي الرسل جميعاً من لدن آدم عليه السلام حتى محمد ﷺ :

ـ فهذا آدم عليه السلام يخاطبه ربه بقوله : ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ (الأعراف ـ ٢٤). ولما قال إبليس اللعين : ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ قال : ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ (ص ٧٩ ـ ٨١).

ـ وهذا سيدنا نوح عليه السلام يقول : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ (نوح ١٧ ـ ١٨).

ـ وهذا إبراهيم عليه السلام يقول : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ (الشعراء ـ ٨٢)، وقال أيضاً : ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (البقرة ـ ٢٦٠).

ـ وهذا الكليم موسى عليه السلام يخاطبه ربه قائلاً: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ (طه ١٤ ـ ١٦).

ـ وسيدنا هود عليه السلام أنذر قومه وخوفهم لقاء ربهم: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (المؤمنون ٣٣ ـ ٣٧).

ـ وسيدنا شعيب عليه السلام قال لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (العنكبوت ـ ٣٦).

ـ وجاء في دعاء يوسف ربه: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (يوسف ـ ١٠١).

ـ وبعض أتباع الرسل الذين حكى الله مقالتهم في كتابه يعرفون البعث والنشور ويبشرون بالجنة ويحذرون من النار.

ـ فذو القرنين عندما بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً فقال الله له: ﴿ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ (الكهف ٨٦ ـ ٨٨).

ـ ومؤمن آل فرعون كان موقناً بالبعث عرافاً به، ولا تختلف معرفته به عن معرفتنا وقد حذر قومه من ذلك اليوم تحديراً فيه تفصيل وبيان ومما قاله لهم:

﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (المؤمن ـ ٣٢) وقال أيضاً: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ (المؤمن ـ ٣٩) وقال أيضاً: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ

﴿ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ (المؤمن ـ ٤٣).

ـ **الأدلة النقلية من السنة المطهرة:**

الأدلة على اليوم الآخر في السنة المطهرة أكثر من أن تحصى:

ـ ففي صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ يخطب فقال: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء ـ ١٠٤)، وقال أيضاً: «**إنَّ أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ـ إلى قوله ـ الحكيم) قال فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم**» (الرقائق ـ فتح الباري ١١/٣٧٧).

ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة: بلى وعزة ربنا**» (الرقائق ـ فتح الباري ١١/٣٧٧).

ـ وروى مسلم عن جابر قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**» (رواه مسلم في صحيحه).

ـ وفي صحيحي البخاري ومسلم عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي (من الدقيق المنقى) قال سهل أو غيره (ليس فيها معلم (علامة) لأحد**» رواه البخاري في الرقائق ومسلم في البعث والنشور).

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون ثم ينزل من السماء ماء فينبتون (أي الموتى) كما ينبت البقل وليس في الإنسان شيء إلا بلي إلى عظم واحد هو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة**» حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم.

الأدلة العقلية التي دحض بها القرآن
شبهات منكري البعث

[١] الشبهة الأولى لمنكري البعث:

استغراب غير المألوف أو غير المشاهد مما لا يقدرون على تصوره:

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾ (الأسراء - ٤٩).

والجواب: ﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾. (الأسراء - ٥٠).

لقد كان الجواب: إن كنتم من حجارة أو من حديد أو من خلق يكبر في صدوركم أو خلقاً أكبر منهما، فإن الله سبحانه قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم وينقلها من حال إلى حال ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام الصلبة والشديدة، بفنائها وإحالتها قادر على ما هو دونها.

ويجيب الحق تبارك وتعالى على سؤال آخر، وهو من يعيدنا إذا استحالت أجسامنا وفنيت؟ قال: «قل الذي فطركم أوَّل مرة» فلما أخذتهم الحجة وحزمهم حكمها انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به بعلل المنقطع فقالوا: متى هو؟ فأجابهم بقوله: «عسى أن يكون قريباً») (عن شرح الطحاوية ٣٤).

ونرى هذه الشبهة تتضح وتتمثل في قوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يٰس ٧٨ ـ ٨٣).

فإنه سبحانه افتتح الحجة بسؤال أورده ملحد، اقتضى جواباً، فكان في قوله: «ونسي خلقه» ولم يكتف بالجواب، بل أقام الحجة وأزال الشبهة، فلما أراد تأكيد الحجة وزيادة تقريرها، قال «قل يحييها الذي أنشأها أوَّل مرة» فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالإنشاء الأول على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم ضرورة، ان من قدر على الإبداء ؛ قادر على الإعادة وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عجزه عن الأولى من باب أولى.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق، وعلمه بتفاصيل خلقه، أتْبَع ذلك بقوله: «وهو بكل خلق عليم»، فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته وكذلك الثاني فإن كان تام العلم كامل القدرة، فكيف يتعذر عليه أن يحي العظام وهي رميم؟ ويرد العلماء المجردون على هذه الشبهة فيقولون: يوجد سؤال: هل هناك شهادة تجريبية تثبت الحياة بعد الموت؟

إن أول دليل على الحياة الثانية هو حياتنا الأولى. فالذين ينكرون الثانية يقرون بالأولى بداهة. والحياة التي ظهرت مرة واحدة كيف تعجز عن إعادة نفس العملية مرة أخرى؟ إنه لا شيء أكثر عداء للمنطق والعقل الإنساني من أن نسلم بوقوع حادث في «الحال» وننكره في «المستقبل».

يقول: «السير جيمس جينز»: «لا نستبعد حدوث أي شيء يمكننا قياسه على الأرض» ومثل ذلك قال داروين وغيره من علماء الطبيعة الملحدين، لقد حاول هؤلاء شرح الكون والحياة بطريقة طبيعية مما أوصلهم مضطرين إلى أن يسلموا بأنه لو هيئت نفس الأحوال ـ التي ساعدت في خلق الحياة الأولى ـ فمن الممكن حدوث الحياة ولوازمها مرة أخرى. إن إمكان حدوث الحياة الأخرى أقوى ـ نظرياً ـ من إمكان الحياة الأولى، فالذي خلق الحياة الأولى يستطيع بدهياً

أن يخلق الحياة الثانية إلا إذا أنكرنا الحياة الأولى (الموجودة الآن).

- ثم اكد امر البعث بحجة قاهرة وبرهان ساطع يتضمن جواباً على سؤال منكر للبعث. يقول: «أن هذه العظام، إذا صارت رميماً، اصبحت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة «وهذا ما يدل على امر البعث «فاجاب» الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا انتم منه توقدون» فاخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتليء من الرطوبة والبرودة.

فالذي يخرج الشيء من ضده، وتنقاد له مواد المخلوقات، ولا تستعصي عليه، هو الذي يحيي العظام وهي رميم

- ثم أكد هذا الأمر بأخذ الدلالة من الشيء الأجلّ والأعظم على الأيسر والأصغر، فإن كل عاقل، يعلم أن من قدر على العظيم الجليل، فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر. فقال: «أَوَلَيْسَ الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم» فأخبر أن الذي أبدع السموات والأرض على حالتهما، وعِظَم شأنهما وَكِبَرِ أجسامهما وسعتهما، وعجيب خلقهما - أقدر على أن يحيي عظاماً قد صارت رميماً فيردها إلى حالتها الأولى، فقال في موضع آخر: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر - ٥٧).، ثم قال: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس - ٨٣) فبين أن فعله ليس بمنزلة غيره الذي يفعل بالآلات والكلفة والنصب والمشقة ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بد له من آلة ومعين، بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكوِّنه نفس إرادته، وقوله للمكوَّن: (كن) فإذا هو كائن كما شاءه وأراده. ثم ختم هذه الحجة بأخباره بأن ملكوت كل شيء بيده فيتصرف بفعله وقوله (عن شرح الطحاوية - ٣٤٢).

[٢] - الشبهة الثانية لمنكري البعث:

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ﴾ (السجدة - ١٠)

والمراد بالضلال في الأرض تحلل أجسادهم ثم اختلاطها بتراب الأرض: نقول ضَلَّ السمن في الطعام، إذا ذاب وإنماع فيه.

الجواب لقد بين الله سبحانه، في أكثر من موضع، أن من تمام ألوهيته وربوبيته، قدرته على تحويل الخلق، من حال إلى حال، ولذا فإنه يميت ويحيي، ويخلق ويفني، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (الأنعام ٩٥ - ٩٦).

من الحبة الجامدة الصماء، يخرج نبتة غضة خضراء، تزهر وتثمر، ثم تعطي هذه النبتة الحية حبوباً جامدة ميتة.

ومن الطيور الحية، يخرج البيض الميت، ومن البيض الميت، تخرج الطيور المتحركة المغردة.

إن تقليب المخلوقات: موت فحياة، ثم موت فحياة، دليل عظيم على قدرة الله، تجعل النفوس تخضع لعظمته وسلطانه: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة - ٢٨).

[٣] - **ومن الأدلة العقلية على صحة اليوم الآخر**: أن الذي يخلق الصعب يسهل عليه خلق الأسهل، فالله الذي خلق السموات بأجرامها من شمس وقمر ونجوم وسيرها بنظام محكم دقيق: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس - ٤٠). والذي خلق الجاذبية الأرضية والضغوط الجوية والذي خلق الجبال الراسيات والبحار الساحقات والإنسان بأجهزته المحكمة العجيبة لقادر على أن يعيد خلقه بسهولة ويسر قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر - ٥٧) وقال ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأحقاف - ٣٣)، وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾

(القيامة ـ ٣٦) فاحتج سبحانه، على أنه لا يترك الإنسان مهملاً عن الأمر والنهي والثواب والعقاب، وإن حكمته وقدرته، تأبى ذلك أشد الإباء، كما قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون ـ ١١٥).

فإن الذي خلق الإنسان من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس والقوى والعظام والأعصاب والدم وغيرها، فأحكم خلقه غاية الإحكام، وأخرجه في أحسن تقويم، كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية؟ وهل تقتضي حكمته وعنايته، أن يترك الإنسان سدى؟ لا.. لا يليق ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته في أن يعيد خلق الإنسان، بعد إنشائه من العدم.

وكم في القرآن من مثل هذا الاحتجاج، قال تعالى:
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ (الحج ٥ ـ ٧).

[٤] البعث ظاهرة مشاهدة في حياة الانسان والحيوان والنبات في عالم الإنسان:

يقول تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ (الطارق ـ ٥)، ثم يبعث الله فيه الحياة ثم ينقله من العالم المغلق (رحم أمه المحدود) الذي استغنى فيه عن الشمس والهواء والماء إلى العالم الرحب الفسيح الذي لا يستغني فيه عن الشمس والهواء والماء حتى إذا انتهى أجله، فارقته الروح. ولنسأل الأطباء ما هي الروح ما حقيقتها لم غادرت وكيف؟ ما هو سر توقف هذا المعمل البشري الذي لم ينقطع

عنه غذاؤه المولد للطاقة؟ وهل يمكن لعلماء الأرض مجتمعين أن يعيدوه للعمل والحياة؟اللهم لا. ذلك لأن خالقه العظيم هو وحده الذي يستطيع إعادته وبعثه. أما غير خالقه فعاجز وضعيف. وكذلك ظاهرة النوم يفقد فيها النائم إرادته وحسه عدة ساعات في اليوم ثم يعود إلى ما كان عليه قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر - ٤٢).

في عالم الحيوان: من الذي يبعث الحياة في الخفاش الذي يرقد طيلة فصل الشتاء ثم تدب فيه الحياة من جديد في شرنقة الحرير التي تعيش الدودة في داخلها اسابيع عديدة دون حراك محرومة من الهواء ثم يبعثها الله من رقادها فتثقب الشرنقة وتخرج إلى الهواء الطلق.

في عالم النبات: توضع البذرة الجافة في التربة الجافة ثم تسقى بالماء فيبعث الله فيها الحياة بعد الموت قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الحج - ٦).

ما هو السر الذي يودعه الله في غبار الطلع الذي ينتقل بواسطة الهواء أو الحشرات من شجرة لأخرى فيبعث الله فيها الحياة بعد جدبها فيخرج منها ثمراً يانعاً شهياً مختلفاً ألوانه، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ (ق - ٨). يعني كذلك البعث يوم القيامة.

[٥] - ليس من العدل الإلهي أن يسوى بين العاصي والمطيع:

فقد اقتضت عدالة الله تعالى أن يكافأ المحسن على إحسانه ويجازي المسيء على إساءته تشجيعاً للإقبال على الخيروتحذيراً من الاقتراب من الشر ضماناً للحقوق من الضياع وتشجيعاً لأعمال البر والمساعدة والإحسان ولو استوى المسيء والمحسن في نظر المجتمع لاستفحل الشر وانقطع البر وسادت شريعة الغاب لذا كان اليوم الآخر هو العلاج الوحيد لضبط القيم وتصويب السلوك ولسيادة الحق والعدل والسلام قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١ وَخَلَقَ ٱللَّهُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الجاثية ٢٢).

[٦] - نبل الغاية:

إذ ليس من الحكمة أن يخلق الله الإنسان في أحسن تقويم ثم يمنحه العقل والنطق والتمييز والتدبير (وهديناه النجدين) ويسخر لأجله كل ما في الأرض من نبات وحيوان: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة - ٢٩).

- كل ذلك لكي يأكل ويشرب وينام ويستمتع كسائر العجماوات ثم تنتهي هذه الحياة إلى لا شيء، ثم ما فائدة هذه الحياة إذا قدر للإنسان أن يعيش فيها محروماً مظلوماً ترى لم لا نعط أولئك المحرومين الحق بسلوك طرق غير مشروعة لكي يستمتعوا بهذه الحياة إن كنا لا نؤمن بأن هنالك يوماً آخر يستمتع به المحرومون وينصف فيه المظلومون. ما أتفه هذه الحياة إذا كانت الغاية منها المتعة فحسب وما أرخصها إذا كانت نهايتها الموت: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون - ١١٥). ذلك لكي يجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

[٧] - أهمية ارتباط العمل بالأجر:

برضاء الله وجنته ونرهبهم بغضب الله وعذابه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة ٧ - ٨).

[٨] - ومن الأدلة العقلية إمكان الآخرة:

يقتضي الإيمان بحتمية الآخرة أن لا يكون الإنسان والكون أبديين وقد أثبت العلم بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا الكون سينتهي طبقاً لقانون الطاقة المتاحة، الذي يعني انتقال الحرارة من الأجسام ذات الحرارة العالية إلى الأجسام ذات الحرارة الأقل بغية التساوي وحين الوصول إلى هذه الحال تنتهي العمليات الكيماوية الطبيعية وتنتهي تلقائياً الحياة، أما الإنسان فلم يستطع أن يقف في وجه الموت مطلقاً.

يقول الدكتور الكسيس كاريل: «إن الإنسان لن يسأم أبداً في البحث عن الخلود والسعي وراءه، مع أنه لن يظفر به إلى الأبد، فتركيبه الجسماني يخضع

ما فائدة أن يبذل الإنسان جهده ويقدم تضحياته في سبيل إسعاد الآخرين إذا لم يضمن الأجر والمثوبة العاجلة أو الآجلة. ترى لو لم يعرف الطالب أن نجاحه موقوف على نتائج امتحاناته واختباراته فهل يجد ويتعب ويكد ويسهر. كل إنسان تتوق نفسه للحصول على نتائج جهوده إن آجلاً أو عاجلاً فإن كان ممن لا يؤمن باليوم الآخر، ولم ينل نتيجة جهوده في هذه الحياة، فهل يبقى لحياته معنى. لقد أوضحت الآيات الكريمة ضرورة تلازم العمل مع الأجر والمثوبة ليسعد الإنسان بنتائج جهوده وليستأنف عمله بجد ونشاط دون توقف أو تردد قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(التوبة - ١٠٥) ما أسعد الإنسان الذي يكسب بعمله رضاء الله تعالى ورسوله وثناء الناس عليه وها هو رسول الله ﷺ يقول: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»، ذلك لكي ينسيه الأجر متاعبه ويبعث في نفسه الأمل والهمة والنشاط. لذا كان لا بد لاستمرار الحياة ولإقبال الطائعين على اعمال البر ولردع العاصين على المعاصي من أن نرغبهم لقوانين معينة، «إنه يستطيع أن يوقف الزمن الفيسيولوجي لأعضاء الجسم حتى يؤخر الموت لفترة قصيرة ولكنه لن يتغلب على الموت أبداً». (عن الإسلام يتحدى - ١١٣).

وهنالك ظواهر طبيعية ذات أهوال في نطاق محدود من بقاع الأرض تشير إلى أنها ستحدث على نطاق واسع تشمل الأرض كلها. فمثلاً ظاهرة الزلازل التي لا يملك الإنسان تجاهها أية مقاومة هي نذير تذكر الإنسان أنه يعيش فوق مادة حمراء ملتهبة جهنمية لا يفصله عنها سوى قشرة جبلية رقيقة لا يزيد سمكها عن خمسين كيلو متر وهي بالنسبة للأرض كقشرة التفاح بالنسبة لثمرتها.

يقول عالم الجغرافيا (جورج جاموف): «إن هناك جهنم طبيعية تلتهب تحت بحارنا الزرقاء، ومدننا الحضارية المكتظة بالسكان، وبكلمة أخرى: نحن واقفون على ظهر لغم «ديناميت» عظيم ومن الممكن أن ينفجر في أي وقت ليدمر النظام الأرضي بالجملة إن هذه الزلازل دليل ناطق على الأرض بأن خالقها قادر على تدميرها كما يشاء (الإسلام يتحدى ١١٤)

وهذه هي حال الفضاء الخارجي تدور فيه نيران هائلة لا حصر لها هي (السيارات والنجوم) تدور بأقصى سرعة يمكن تخيلها وهذا الدوران يمكن أن

يتحول في أي يوم إلى صدام عظيم لا يمكن تصوره واصطدام الأجرام السماوية ليس بغريب مطلقاً بل الغريب أن لا يقع الإصطدام وعلم الفلك يؤكده. فإذا استطعنا أن نتصور هذا التصادم في نطاق أوسع، استطعنا أن نفهم جيداً ذلك (الإمكان) الذي نحن بصدده. . . فهذا الواقع هو بعينه ما نسميه «القيامة». (الإسلام يتحدى ـ ١١٦).

ـ الحياة بعد الموت من الناحية العلمية:

يتردد سؤال في العقل الحديث: هل هناك حياة بعد الموت؟ ثم يستطرد: «لا . . . لا حياة بعد الموت» ويعتقد «(ت . ر. مايلز) بأن البعث بعد الموت حقيقة تمثيلية، وليس بحقيقة لفظية» ثم يضيف قائلاً:

«إنها قضية قوية عندي، إن الإنسان يبقى حياً بعد الموت، وهذه القضية من الممكن ـ لفظياً ـ أن تكون حقيقة قابلة لاختبار صحتها أو بطلانها بالتجربة، ولكن المسألة الرئيسية في طريقنا هي أننا لا نملك وسيلة لمعرفة الإجابة القطعية عن هذا السؤال إلا بعد الموت، ولذلك يمكننا أن نقيس وقياسه كما يلي: «بناءً على علم الأعصاب لا يمكن معرفة العالم الخارجي والإتصال به إلا عندما يعمل الذهن الإنساني في حالته العادية، وأما بعد الموت فهذا الإدراك مستحيل، نظراً إلى بعثرة تركيب النظام الذهني» (الإسلام يتحدى ـ ١١٧)

وهذا القياس قاصر فهناك قياسات أقوى تؤكد على أن بعثرة الذرات المادية في الجسم الإنساني لا تقضي على الحياة فإن الحياة شيء آخر مستقلة باقية بعد فناء الذرات المادية وتفسيرها. وهذا دليل ذلك:

جسم الإنسان العادي يتألف من ٠٠٠و٠٠٠و٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٢٦٠ خلية تتغير في كل ثانية فهي تنقص بسرعة وهذا النقص يعوضه الغذاء، إذن فالجسم الإنساني يغير نفسه بنفسه باستمرار كالنهر الجاري يغير نفسه بنفسه دائماً ومع ذلك فهو نفس النهر الذي وجد منذ زمن طويل ولكن الماء لا يبقى بل يتغير وهكذا جسمنا يخضع لعملية تغيير مستمرة حتى أنه يأتي وقت لا تبقى فيه أية خلية قديمة في الجسم. تتكرر هذه العملية في الشباب والطفولة بسرعة، بينما تستمر بهدوء في الكهولة وهذا التغيير يحدث بمعدل مرة كل عشر سنوات. من

هذا نستنتج أن تغير الجسم المادي الظاهري مستمر، ولكن الإنسان في الداخل لا يتغير: علمه، عادته، حافظته، أمانيه، أفكاره، تبقى كلها كما كانت. ولو كان الإنسان يفنى بفناء الجسم لكان لزاماً أن يتأثر على الأقل بفناء الخلايا وتغيرها الكامل. وهذا يؤكد أن الحياة الإنسانية شيء آخر غير الجسم وهي باقية رغم تغير الجسم وفنائه بفناء الخلايا بصفة مستمرة. وهذا ما دعا العالم أن يقول: «إن الشخصية هي عدم التغير في عالم التغيرات».

[٩] - ضرورة الآخرة:

إن الآخرة ذات هدف عظيم هو المجازاة على أعمال الدنيا خيراً كانت أو شراً وفق ما سجل عليه وحفظ من خلال ثلاثة أبعاد: النية، والقول، والعمل.

- فالأفكار أو النوايا التي تخطر على بالنا وسرعان ما ننساها نراها خلال النوم أو نتكلم عنها في حالات الهيستيريا أو الجنون دون أن ندري شيئاً مما نقول وهذا يثبت قطعياً أن العقل أو الحافظة ليست تلك التي نشعر ونحس بها فحسب، وإنما هناك أطراف أخرى من هذه الحافظة لا نشعر بها وهي ذات وجود مستقل وأثبت العلم على أنا غير قادرين على محوها وأن الشخصية الإنسانية لا تنحصر فيما نسميه بالشعور، بل هناك أجزاء أخرى يسميها فرويد «ما تحت الشعور» أو «اللاشعور» وهي تشكل الجانب الأكبر من شخصيتنا

يقول فرويد في محاضرته الحادية والثلاثين: «إن الدوافع الحبيسة (Con-ative impulses) التي لم تخرج قط عن اللاشعور، وحتى التأملات الخيالية التي دفنت في اللاشعور، تكون آلية في الحقيقة والواقع (الإسلام يتحدى - ١٢٠).

ولم يستطع فرويد أن يدرك ما يكمن خلف هذه العملية من أسباب وعلل وأية خدمة تؤديها في مصنع الكون؟ ولو قارنا هذا الواقع مقروناً إلى نظرية الآخرة لاستطعنا أن نصل إلى حقيقتها بسرعة، إن هذا الواقع يؤكد بكل صراحة إمكان وجود سجل كامل لأعمال الإنسان في حياته عندما يبدأ حياته الأخرى فإن وجوده نفسه سوف يشهد على الأعمال والنيات التي عاشها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ (ق - ١٦).

ـ أما مسألة القول الذي سيحاسب عليه الإنسان في الآخرة اعتماداً على قول الله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (قٓ ـ ١٨)، فإن إمكان وقوع هذا لا ينافي العلم الحديث فحركة اللسان في التكلم تحرك موجات في الهواء كالتي في الماء الساكن عندما نرمي فيه قطعة حجر لتصطدم بطبلة الأذن التي تقوم آلياً بإرسال هذه الموجات إلى العقل فما نفهمه من المعنى يسمى «سماعاً» ولقد ثبت قطعياً أن هذه الموجات تبقى كما هي في الأثير إلى الأبد بعد حدوثها في المرة الأولى ومن الممكن سماعها مرة أخرى ولكن علمنا الحديث عاجز حتى الآن عن أن يضبط هذه الموجات مرة أخرى وأن يفرق بين أصوات الزمن القديم ولو استطاع لكنا قد سمعنا تاريخ كل عصر بأصواته. ومن ثم لا تبقى نظرية الآخرة بعيداً عن القياس، وهي القائلة بأن كل ما ينطق به الإنسان يسجل وهو محاسب عليه يوم الحساب.

ـ أما مسألة العمل فتصدق بصورة مدهشة إمكان حدوث الآخرة فالعلم الحديث يؤكد بأن جميع أعمالنا في الضوء أو في الظلام موجودة في الفضاء في حالة الصور، ومن الممكن في أية لحظة تجميع هذه الصور حتى نعرف ما جاء به كل إنسان ما من أعمال الخير والشر طيلة حياته، فالأجسام جامدة كانت أو متحركة تصدر عنها حرارة بصفة دائمة وهي بدورها تعكس أشكال وأبعاد الأجسام تماماً وقد تم اختراع آلات دقيقة لتصوير الموجات الحرارية (Heat waves) التي تخرج عن أي كائن لكن هذه الآلات لا تستطيع تصوير الموجات الحرارية إلا خلال ساعات قليلة من وقوع الحادث وذلك لضعف فيها ويستعمل في هذه الآلات الأشعة تحت الحمراء (إنفرارد) التي تصور في الظلام والضوء على حد سواء.

مما تقدم نستنتج أن أجهزة الكون تقوم بتسجيل كامل لكل أعمال الإنسان، فكل ما يدور بأذهاننا وكل ما يصدر من تصرفاتنا وكل ما تنطق به ألسنتنا يسجل بدقة فائقة فنحن نعيش أمام مسجلات وأمام كاميرات تستغل دائماً تسجل بدقة لتعرض ما سجلته أمام محكمة إلهية تقوم بإعداد هذا النظام الدقيق لتحضير الشهادات التي لا يمكن تزويرها أو إخفاؤها.

وخلاصة الأمر: إن أساس عقيدة الإسلام هو الإيمان بوجود الله الخالق القادر المبدع (لا إله إلا الله) فإذا آمن الإنسان بهذه الحقيقة سهل عليه الإيمان بكل ما ورد عن هذا الإله العظيم فالإله الذي خلق كل شيء قادر على إماتة خلقه وقادر على بعثهم وحسابهم قادر على أن يبعث رسلاً وأن يخلق ملائكة وأن يمسك السماء أن تقع على الأرض. حينما انطلق كاكارين رائد الفضاء السوفيتي الأول خارج الكرة الأرضية وشاهد الأرض بمن عليها تسبح في الفضاء سبح لله وآمن بعظمته إنه لمس حقيقة قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾(الحج - ٦٥) فسبحان الله رب العالمين.

الفصل الثاني

اليوم الآخر في الحضارات القديمة
المصرية الفرعونية
البرهمية
البوذية
الكونفشيوسية
الرومانية
الزرداشتية
في وادي الرافدين
وعند الصابئة

الفصل الثاني

اليوم الآخر عند الأمم والحضارات القديمة

نظراً لأهمية عقيدة اليوم الآخر في حياة الأفراد والشعوب وما يترتب عليها من آثار تحدد معالم الحضارات والقيم، واستدلالاً على أن الفطرة الإنسانية تتطلب الإيمان باليوم الآخر.

رأيت من المناسب أن نتعرف على معتقد هذه الأمم في اليوم الآخر لنشاهد بوضوح اصالة هذه العقيدة منذ نشأة الإنسان، وتميز عقيدة الإسلام على سائر الشرائع والديانات.

[أ] ـ اليوم الآخر عند الشعوب المصرية القديمة:

قال هيرودوت المؤرخ اليوناني: «إن المصريين هم أول الشعوب التي اعتقدت بخلود النفس، فقد عثر على نقوش مدونة على الأهرامات: أن النفس خالدة لا تموت[1] ولهذا اعتقد المصريون ايام الأسرة الخامسة منذ عام (٢٦٠٠ ق. م) بحياة أخرى[2] وانها باقية بعد هذه الدنيا الفانية، فقد كانت هذه الدنيا في نظرهم فترة قصيرة بعدها حياة لها أمد غير محدود، بل إن دنيانا ليست إلا ممراً إلى ذلك الخلود، وقد قام اعتقادهم بالحياة الآجلة بعد هذه العاجلة على اساسين:

(أ) ـ إن هذه الدنيا معترك يتنازع فيه الشر والخير والبر والفاجر وكثيراً ما

---

(١) الأديان القديمة في الشرق: د. رؤوف شلبي.

(٢) مشاهد القيامة: (١٢).

نـرى في هذا المعتـرك انتصار الشـر على الخير وبغي الفجـار على الأبـرار، فلو لم يكن هنـاك يوم كله للخيـر وكله على الشر يحـاسب المسيء على اساءتـه ويكـافىء المحسن على إحسانه مـا استقام العـدل الالهي [1] فالعـدالة الالهية تقتضي إذن أن يكون يوم آخـر يكون لـلأبرار على الفجـار وللاطهـار لا للأشـرار وأن تكون الحيـاة باقية لينتصر فيها الخير وينتصف فيها من الشر.

(ب) ـ اعتقـادهم في النفس الأنسانيـة فهم يعتقدون وجـود نفس تنفصـل عن الجسم وإن كـانت تحـل فيـه وأن تلك النفس ذات أربـع شعب: إحـداهـا الـروح وهي أسـاس القوى في الإنسان. والثـانيـة: العقـل والإرادة، والثـالثـة: صـورة من الأثير أو مادة أدق منه على هيئة الجسم تمـاماً، والـرابعة: الجـوهر الخـالد السـامي الذي يشترك فيه الإنسان مـع الالهة وهـو سر الـوجود والعلو وهـذه الشعبة من شعب النفس متصلة بعـالم الالهة مـا دام الإنسان على قيـد الحياة فـإذا مات: اتصلت بـه اتصالاً وثيقاً. أمـا الروح فهي التي تـظل تتردد على الإنسان في قبره إلى أن يجتـاز الحساب ويصل إلى مرتبةالثواب وعندئذٍ تعود إليه فيشعر بما يشعر به الأحياء [2].

وقـد كانـوا يعتقدون أن النفس لا تعيش إلا إذا كـان الجسم سليماً، وسـلامته هي التي تجعله صالحاً لعودة الروح إليه بعد أن فـارقته بـالموت، لـذا بذلـوا أقصى الجهـد في سبيـل المحـافـظة على الجسم وجعله صـالحـاً لحلول النفس فيـه بعـد الموت وقد بعث ذلك فيهم الحيلة لأن يخترعـوا تحنيط الموتى وبقـاء الموميـاء على هيئة من التماسـك وعدم التحلل لكي تعـود النفس إلى غلافهـا، ولقد اجتهـدوا مع ذلك في إقامة تماثيـل للموتى تشبـه أجسامهم تمـام الشبه لكي تحـل فيها النفس إن كـان الجسم غير صـالح، وقـد عـددوا التمـاثيـل للميت الـواحـد لـزيـادة احتمـال الصلاح فيها فتكون الروح في فسحة من الأماكن فتنتقل من هذا إلى ذاك [3].

وكـانوا يعتقـدون أيضـاً أن الميت أو روحـه في العـالم الآخـر يحتـاج إلى مـا يحتـاج إليه الأحيـاء في هذه الـدنيـا من طعـام وشـراب وأن مـا يقـدم من ذلـك في الدنيا قربانا على أرواح الأموات يفيـدهم في الآخرة ولـذلك تكـون روح الميت في

---

(١) مقارنات الأديان: (١٦).
(٢) مقارنات الأديان: (١٧).
(٣) مقارنات الأديان: (١٧). وأنظر الأديان القديمة في الشرق: (٢٧٠).

أشد الألم إذا لم تقدم القرابين من طعام وشراب وما إلى ذلك من مطاعم الأحياء في الدنيا[1].

لهذه المعاني والخواص التي وصفوا بها النفس الإنسانية وللعدالة الالهية التي تسود الأكوان اعتقد المصريون أنه لا بد من حياة أخرى فيها النعيم المقيم للأخيار والعذاب الأليم للأشرار ثم إنه قبل أن يصل الميت إلى الثواب أو العقاب لا بد من الحساب [2] وكانوا يجسمون هذه المحاسبة فيضعون لها في كتاب الموتى وعلى التوابيت رسم محكمة ومحاكمة وميزان، تتألف هذه المحكمة من إثنين وأربعين قاضياً من آلهة يرأسها «أوزيريس» نفسه جالساً على عرشه حاملاً عصاه وكرباجه، فإذا جيء بالميت تسلمه «أنوبيس»، مدير دفن الموتى ودليلهم في الدار الآخرة، وأخذ قلبه فوضعه في إحدى كفتي ميزان ووضع في الكفة الأخرى تمثال الآلهة «معات»، الهة الحقيقة والعدل، أو ريشتها ثم وقف الاله «توت» بجانب الميزان وهو ـ اله الحكمة والعلم ـ وفي يده اليمنى قلم وفي يده اليسرى سجل يدون فيه نتيجة الميزان ثم يرفعها إلى «أوزيريس» ويقف بالقرب من «توت» الوحش «أمابيت» وهو وحش له رأس تمساح وجسم أسد متأهب لأن يلتهم الميت الذي يصدر الحكم بالتهامة، وفي بعض الرسوم تضاف نيران إلى المحكمة في مكان خاص منها ليلقى فيها المذنبون، والقلب في الميزان يمثل أعمال الميت في حياته وهو الذي يشهد بكل ما فعله صاحبه من خير أو شر[3]. وقد خاض المؤرخون في بيان الفضائل التي كانت تعد فضائلاً في نظر المصريين في هذا المقام، وقوام هذه الفضائل سلبي، دعامته عدم الحاق الأذى والضرر بغيره من الناس، وإيجابي دعامته نفع الناس واطعام القانع والمعتر[4].

فمن رجحت سيئاته حسناته القي إلى الوحش «امابيت» يفترسه، ومن رجحت حسناته سيئاته قيد إلى حيث الآلهة وصعدت روحه إلى السماء ومن تعادلت حسناته وسيئاته يعيّن للخدمة[5].

---

(١) مقارنات الأديان: (١٧ ـ ١٨).

(٢) مقارنات الأديان: ص (١٨).

(٣) مشاهد القيامة: ص (١٣ ـ ١٤).

(٤) مقارنات الأديان: ص (١٨).

(٥) مشاهد القيامة: ص (١٥).

ونرى في هذا أن الأبرار من الأموات يرتفعون إلى مرتبة الآلهة ولهذا سرت عندهم عبادة الموتى واضافوا إليهم صفات الألوهية وخواصها في نظرهم، بل إنهم كانوا يعتقدون أن أرواح موتاهم تتصل بعالم الأحياء وتنبؤهم بأسرار المستقبل فتخبرهم بما عساه أن يكون في سبيلهم من أخطار وتبشرهم بما عساه ينالهم من خير وقد ملئت اساطيرهم بشيء كبير مما يؤيد اعتقادهم فيما يزعمون (عن مقارنات الأديان ص ـ ١٨).

لقد عثر المصور لوجي جريفت على نص قصة مصرية قديمة موجودة في المتحف البريطاني تصف رحلة إلى العالم الآخر قام بها فتى اسمه «سينوزيريس» مع أبيه «ساتني» ليطلعه على طريقة الحساب والجزاء والعقاب في هذا العالم الآخر ولهذه القصة قيمتها العظمى في الكشف عن تصورات المصريين القدماء للعالم الآخر ومدى تقديرهم للعدالة في هذا العالم، والدقة في الجزاء الذي يناله الأفراد دون النظر إلى مظاهرهم في الدنيا من مال أو جاه. ملخص القصة: أن الأب تمنى جنازة حافلة كجنازة غني كثر حوله المشيعون ولكن ابنه أراد أن يريه أن مصير الفقراء أفضل من مصير الأغنياء فذهب به إلى الدار التي يحاسب فيها الأموات فإذا هي سبع قاعات واسعة مملوءة بناس من جميع الطبقات فدخلا القاعة الرابعة فإذا أناس تأكل الحمير من خلفهم وغيرهم يثبون إلى طعام معلق فوق رؤوسهم فلا يدركونه بينما حفارون يحفرون تحت أقدامهم ليزيدوا مساحة ما بينهم وبينه، ورأى رجلاً منطرحاً تحت الباب على ظهره ومحور هذا الباب مركز في عينه اليمنى يدور عليها كلما فتح أو أقفل وهو لا ينفك يفتح ويقفل والرجل لا ينفك يصيح من الألم وهذا هو صاحب الجنازة الحافلة بالمشيعين بينما الفقير جالس إلى جانب «أوزيريس» بعد أن رجحت حسناته[1] وهناك صور أخرى للعقاب غير الوحش «أماييت» والنار التي يلقى فيها المذنب والصور التي ذكرتها القصة.

منها: أن يبقى المذنب في قبره فريسة للجوع والعطش محروماً من رؤية الشمس وفي بعض الأحيان يكون في المحكمة سيوف يضربون بها المذنبين[2].

---

(١) مشاهد القيامة: (١٤)، (١٥)، (١٦).
(٢) مشاهد القيامة: ص (١٨).

أما الثواب عندهم كما تصوره نصوص الأهرام فهو الصعود إلى السماء بعد رحلة جمة المخاطر للإقامة فيها مع الآلهة أو للإقامة مع الاله «رع» في سفينته وهؤلاء الذين يثابون يسمون المجدين أو السعداء وهؤلاء يقيمون في جزر في السماء حيث حقل الطعام الذي يتناولون فيه أطعمة شهية تتجدد ولا تنفد كما أن السماء «نون» والثعبان الذي يحميان الشمس، يعطيان الصاعد إلى السماء حين الوصول إليها ثدييها ليرضع منهما فمتى رضع عاد صبياً (شاباً)، وهو يأكل الخبز مع الألهة ويشرب الخمر وصحته تزداد تحسناً على مر الأيام (١) .

أما كتاب الموتى فهو يشتمل على آداب وفضائل وعلى ما تلقنه الروح لتحسن الأجابة أمام محكمة الحساب وهو يعد الكتاب الأعلى عند قدماء المصريين يتعبدون بتلاوته وهم أحياء ويوضع معهم في قبورهم وهم أموات ويزعمون أن أحد الآلهة قد كتبه بيده، وقد جاء عن منزلة الكتاب في أحد أبوابه «أن الكتاب يعلي شأن الميت في أحضان (رع) ويحبوه السبق لدى (توم) ويجعله عظيماً لدى (أوزيريس) مرهوب الجانب لدى الآلهة وكل ميت وضع له هذا الكتاب تخرج روحه نهاراً مع الأحياء وتصعد إلى الآلهة ولا يعترضها عارض من أحد، تدنيه الألهة منها وتلمسه لأنه شبهها يوقفه هذا الكتاب على ما حدث منذ البدء (٢) . وفي الكتاب فصل على ما ينبغي أن تقوله الروح أمام محكمة الالهة في اليوم الآخر نذكر بعضها:

«يا سادة الحقيقة إنني حامل الحقيقة إنني لم أخن أحداً ولم أغدر بأحد ولم اجعل أحداً من ذوي قرابتي في ضنك ولم أقم بدنية في موئل الحقيقة ولم أمازج عملي بشر قط وجافيت الضرر والأذى ولم أعمل باعتباري رئيس أسرة ما ليس من عمل ربها ولم أكن سبباً في خوف خائف ولا اعواز معوز ولا ألم متألم ولا بؤس بائس، لم أقدم على ما لا يليق بالآلهة فلم أجع أحداً ولم ابك أحداً ولم أقتل نفساً وما حرضت أحداً على قتل أو خيانة ولم أكذب ولم اسلب المعابد ذخائرها ولا المومياء طعامها . .». وجاء ايضاً ما تقوله المحكمة عن الميت الذي تزكيه اعماله:

---

(١) مشاهد القيامة: (١٦ - ١٧). وأصول الدين: (٣٤٩ - ٣٥٠). الأديان: (٥٨). وأنظر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: (٢/ ٩٦ - ١٠٠).

(٢) مقارنات الأديان: ص (١٩).

«ليس فيه شر ولا خطيئة ولا فساد ولا دنس وليس عليه اتهام ولا في اعماله ما يثير الاعتراض فقد عاش من الحق وتغذى بالحق وإن فعاله لتشرح الصدور وهي مما يطلبه الرجال ويسر الآلهة وقد اخلص للآلهة محبته واعطى الخبز من كان خاوياً والماء من كان صادياً واللباس من كان عارياً واعار الزورق من ليس عنده» (مقارنات الأديان ١٩ ـ ٢٠).

يقول السير ولس بدج: «وفي جميع أصناف القبور التي تؤول إلى الطور السابق على التاريخ في مصر نجد تقدمات قربانية في أصص وأوان متنوعة وتلكم واقعة تبرهن برهنة قاطعة على أن البشر الذين صنعوا هذه القبور كانوا يؤمنون بأن أصدقاءهم واقرباءهم الموتى سوف يعيشون مرة ثانية في مكان لا يعرفون عن حيثياته إلا أفكاراً غامضة على الأرجح وسوف يعيشون حياة لا تختلف عن تلك التي كانوا قد عاشوها على الأرض وتؤثر الأدوات الصوانية والسكاكين والمكاشط (الموجودة في القبور) وما إلى ذلك إلى أنهم قد ظنوا بأنهم سوف يصطادون ويذبحون طرائدهم لدى القبض عليها وبأنهم سوف يقاتلون اعداءهم كذلك» (عن كتاب الديانة الفرعونية ص ـ ١٩١).

مما تقدم نستنتج أن المصريين القدماء يعتقدون بخلود الروح وبالثواب والعقاب والجنة والنار وهي عقائد فطرية من جانب ثم هي بقية من دعوة الأنبياء الذين شرفوا مصر في فترات تاريخها القديم. (عن كتاب الاديان القديمة في الشرق ص ـ ٢٧١).

[ب] ـ اليوم الآخر في الديانة البرهمية :

الهند من الأمم ذات التاريخ المجيد لها مدنية وحضارة توغل في القدم إلى ابعد أغوار التاريخ [١] إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة ولكن قد طمست آثارهم بحضارة أخرى اتى بها غزاة فاتحون آريون حملوا معهم ديانة غير ديانة الهند القديمة [٢] .

أما ديانة الهند القديمة فإن التاريخ لا يشير إليها إشارة واضحة ولكن جملة ما يقال أنهم كانوا يعبدون النيران ويقدمون لها القرابين يشاركها في التقديس آلهة أخرى كالشمس وحيوانات مخيفة كالتنين. لقد كانوا يعتقدون أن هناك عالماً آخر هو عالم الأموات وأن الأحياء إذا ماتوا وآلهتهم عنهم راضية تمنح أرواحهم معرفة الغيب وقدرة على التأثير في الكون والمشاركة في تصريفه وتدبيره بمجرد مغادرتها الأجسام، وقد استمرت هذه الديانة حتى جاءت ديانة الفاتحين وهي البرهمية فنسختها وحلت محلها [٣] .

إلا أننا إذا طبقنا النظرية التي تصل إلى مرتبة البديهيات المقررة عند مؤرخي الأديان وهي أن العقائد لا تنتزع من النفوس انتزاعاً وتستل من القلوب لأن العقائد تتصل بالنفوس والأرواح والقهر والغلبة سلطانهما على الأبدان لا على القلوب [٤] امكننا أن نقول: أن الديانة الجديدة البرهمية لم تمح الديانة القديمة وتزيل كل آثارها، بل إن الناس قد مازجوا بين قديمهم وبين ما عرض لهم [٥] .

أما عقيدة البرهمية في اليوم الآخر فتتمثل في حرق أجسام أكابرهم بعد الموت وذلك لأن النار في اشتعالها تعلوا شعلتها إلى أعلى بخط عمودي على أفق الأرض، والعمود أقرب المستقيمات بين السطوح والخطوط، ولذا تتجه الروح بهذا الأحتراق إلى أعلى سائرة باتجاه عمودي فتصعد إلى السماء في الملكوت الأعلى في أقرب زمن. هذا سبب من أسباب حرق أجسام كبرائهم بعد

---

(١) مقارنات الأديان: (٢١).

(٢) المرجع السابق: (٢٢).

(٣) المرجع السابق: (٢٢ ـ ٢٣).

(٤) المرجع السابق: (٢٣).

(٥) المرجع السابق: (٢٤).

موتهم، وهناك سبب آخر هو أن الأحتراق تخليصاً للروح من غلاف الجسم تخليصاً تاماً، وذلك أن في الجسم، نقطة بها يكون الإنسان، وهي متأشبة بالجسم متصلة به فلا تخلص منه إلا باحتراق امشاجه وصيرورتها ذرات صغيرة بالاحتراق فعندئذ تتخلص تلك النقطة وهي معنى الأنسان، وبتخلصها تتخلص الروح من الجسم وتعلو عنه لتتصل بجسم آخر أو لتسمو إلى درجة الملائكة إن كانت قد وصلت إلى درجة الخلاص. وإذا تخلصت الروح من الجسم كان أمامها ثلاث عوالم:

أولها: العالم الأعلى وهو عالم الملائكة تصعد إليه الروح إن كانت بعملها تستأهل الصعود إليه والخلاص من الجسم والسمو إلى الملكوت الأعلى.

ثانيها: العالم الثاني عالم الناس وهو عالمنا الحاضر معشر الآدميين والنفس تعود إليه بالحلول في جسم انساني آخر لتكتسب عمل خير ولتتجنب عمل شر إذا كانت أعمالها في الجسم الأول لا ترفعها إلى مراتب التقديس في أعلى عليين ولا تنزل بها إلى أسفل سافلين.

ثالثها: العالم الثالث وهو عالم جهنم، وهذا العالم يكون لمرتكبي الخطايا الواقعين في الذنوب وليس هناك جهنم واحدة بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بمقدار يتناسب مع ذنبهم ومقدار ما فيهم من فسوق عن الدين وخروج من حظيرته [1].

ترى هل الجنة والجحيم دائميين في عقيدتهم؟

الجواب: منهم من يرى أن الجنة نُزُلها دائم وأن الجحيم كذلك على مقدار ما قدم كل شخص من عمل. أما إذا كان عمله لا يرفعه إلى الجنة ولا ينزله إلى الجحيم أعيدت الروح إلى جسم آخر لتعمل ما يعليها أو يرديها.

ومنهم من يرى أن طريق الإكتساب هي الأنسانية وحدها وأن التردد فيها مكافأة قاصرة عن درجة الثواب والعقاب الأخروي. أما الجنة فإنها في علوها تكون للنعيم الذي يستحقه لمن قدم عملاً حسناً. ويكون البقاء فيها إلى أمد محدود، وإذا كان العمل الإنساني إثماً وخطيئة تردت روح الشخص في الحيوان والنبات عقاباً لها على ما اجترحت من سيئات وقدمت من خطايا وبقيت في ذلك

---

(١) مقارنات الأديان: (٤٦ ـ ٥٠).

أبـداً حتى تتطهـر مما اجتـرحت وليست جهنم إلا هذا التـردى عند هؤلاء، فـالجنـة والجحيم ليستـا أبديتين عنـد هؤلاء بل همـا مؤقتتـان بهـذا التـأقيت بعـدهـا تصعـد الـروح درجة إلى العـالم العلوي أو تنزل إلى المـرتبة الإنسانية وكـلا الـرأيين يسيـر على منـاهج تنـاسخ الأرواح وإن اختلفت أنـظارهم فيـه ومهمـا يكن من خـلاف في هـذا المقـام، فـالمتفق عليـه أن البعث في العـالم الآخـر إنمـا هـو لـلارواح لا للأجساد، فالروح إما في روح وريحان وإما في شقوة وجحيم [1] .

---

(١) مقارنات الأديان: (٥٠).

أنظر أصول الدين الإسلامي: (٣٥٤). مقارنات الأديان ـ أديان الهند الكبرى د. أحمد شلبي: (٦٢ ـ ٦٣).

(ح) ـ اليوم الآخر في الديانة البوذية :

نشأت هذه الديانة في الهند وهي في الواقع تخفيف لما جاء في الديانة البرهمية من تعاليم وإزالة لما أحدثته من تفريق بين الناس [١] حيث قسمت الناس من حيث مهنهم وأصولهم وأنسابهم إلى أربعة طبقات :

الطبقة الأولى: طبقة البراهمة وهم رجال الدين الذين خلقوا من رأس الأله براهما.

الطبقة الثانية: طبقة الجند الذين خلقوا من مناكب براهما ويديه.

الطبقة الثالثة: طبقة الزراع والتجار الذين خلقوا من ركبتي الاله.

الطبقة الرابعة: طبقة الخدم والأسارى الذين خلقوا من قدمي الاله براهما [٢] .

أن هذا التفريق في ديانة البرهمية أدى إلى نشوء ديانة (بوذا) الذي ولد قبل المسيح بنحو (٥٦٠ ق. م) [٣] .

وكان الأساس الذي بنى بوذا عليه ديانته أو بعبارة أدق مذهبه الخلقي تلك الدراسة التي كان موضوعها تخفيف ويلات الإنسانية والقضاء على الشقاء في هذه الحياة واجتثاثه من أصله [٤] .

ولذلك لم تعن بما وراء الطبيعة فلم تتجه إلى الدراسات التي تتصل بالالوهية وحدود سلطانها، بل كانت كل عنايتها لأصلاح الإنسانية بانقاذها من الآلام وإبعادها عن ويلاتها برياضة الإنسان على هجر اللذات وتربية الإرادة على اهمال هذه اللذات وعدم العناية بها [٥] .

فليس عندهم عالم آخر على النحو المعهود في الديانة المصرية القديمة أو الزرادشتية إنما هو مقاومة للشهوات وتجرد من الأطماع وانسلاخ من الذاتية تؤدي

---

(١) مقارنات الأديان : (٥٣).
(٢) المرجع السابق : (٤٥ ـ ٤٦).
(٣) المرجع نفسه : (٥٣).
(٤) المرجع نفسه : (٦٩).
(٥) مقارنات الأديان : (٧٧).

بالنهاية إلى الفناء في روح الأعظم (النيرفانا) والإتحاد بذات الاله.

وكتب البوذية ليست منزلة ولا يدعون ذلك هم، بل لا ينسبون ما فيها إلى جانب الهي، بل عبارات منسوبة إلى بوذا، وتنقسم تلك الكتب إلى ثلاث أنواع:

الأول: يشتمل على مجموعة قوانين البوذية ومسالكها.

الثاني: مجموعة الخطب التي القاها بوذا ووصاياه.

الثالث: كتاب يحتوي على بيان أصل المذهب والفكرة التي ينبع منها، أي الفلسفة التي قامت عليها الديانة البوذية.

وفي الجملة نرى في كتب البوذية كلاماً خصباً قيماً فيه بيان للأخلاق والسلوك القويم [1].

---

(١) مشاهد القيامة: (٢٧).

(د) ـ اليوم الآخر في الديانة الكونفوشيوسية الصينية:

الكونفوشيوسية ديانة الصينيين القدماء، حيث تقوم ديانتهم على عبادة ثلاثة أشياء:

[١] ـ **السماء**: ويقصدون بها تلك الأفلاك ومداراتها والقوى المسيطرة عليها والتي تسيرها في مداراتها وباتصالها بالأرض وبالأمطار والرياح وغير ذلك فتنبت الأرض من كل زوج بهيج. وعبادتهم لها قائمة على أنهم يعتقدون أنها عالم حي متحرك حسب نظام دقيق محكم، وإن كل ما في العالم من قوى مسيرة إنما هو خاضع لسلطان السماء (١).

[٢] ـ **القوى المسيطرة على الأشياء**: لإعتقادهم أن لكل شيء قوة تسيطر عليه وهي كثيرة، فللشمس قوة تسيرها، وللقمر كذلك، وللسحاب وللمطر والجبال . . . وهذه القوى يعبدها الصينيون.

[٣] ـ **أرواح الآباء**: حيث أن معتقدي هذه الديانة يؤمنون بأن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى في الدنيا مع أسرتهم، ولهذا فإنهم يقدسون أرواح آبائهم وفاءً وشكراً لهم على ما أسدوا من نعم لأبنائهم ويقدمون لهم القرابين (٢).

ولم يكن الصينيون القدماء يؤمنون بجنة ولا نار ولا عقاب ولا ثواب، ولقد أخذ كونفوشيوس بكل هذه العقائد ولم يزد عليها، فلم يؤمن باليوم الآخر ولم يفكر بالحياة بعد الموت بل كان كل همه في إصلاح الحياة الدنيا.

يروى عن أحد تلاميذه أنه سأله عن مآل الأرواح بعد الممات؟ فقال: لم نقدر على خدمة الأحياء فكيف نقدر على خدمة الأموات ولم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات (٣).

---

(١) مقارنات الأديان: (٧٨ ـ ٧٩).

(٢) مقارنات الأديان: (٨٨ ـ ٨٩).

(٣) المرجع نفسه: (٩١).

(٥) ـ اليوم الآخر عند الإغريق:

تظهر عقيدة اليوم الآخر عند الإغريق القدماء في أوديسية هوميروس الذي يقال أنه عاش حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وتذكر الأسطورة أن عوليس بطل الأوديسية هبط إلى الهيدز تحت الأرض وهي مظلمة تهبط إليها أرواح الموتى مباشرة ويقوم عليها الاله «بلوتو» ويستطيع بعض الأحياء أن يهبطوا إليها بطرق خاصة كما هبط إليها «عوليس» (١) ويذكر هوميروس على لسان عوليس أنه رأى في الهيدز الاله «مينوس» جالساً على عرشه والصولجان الذهبي في يده والموتى يعرضون عليه قضاياهم، وقد تجمعت عند البوابات الكبيرة ينتظرون دورهم في عرض قضاياهم.

ومن الوان العذاب التي رآها أنه شاهد «تيتوس» الجبار منبطحاً على الأرض بحيث يشغل فضاء تسعة أفدنة وعلى جبينه أفعواناً هائلاً أرقم يتغذى من كبده الكبير والدامي ومن احشائه الغلاظ وذلك جزاء من حاول اجتذاب «لاتونا» عشيقة كبيرة الآلهة ولأنه صنع شراً في العالم الدنيوي.

ويذكر أنه رأى «تانتالوس» يتخبط في عين حمئة من الماء الساخن، وقد خاض فيها إلى ذقنه والموج يضرب وجهه وهو مع ذلك يلهث من شدة الظمأ، ولا يجد ما يبل به غلته وفوق رأسه اشجار الفاكهة قطوفها دانية، ولكن يده لا تصل إليها. فكلما أراد اقتطاف ثمرة هبت ريح عاتية فذهبت بالغصون عنه بعيداً (٢).

وقد تطور مفهوم اليوم الآخر عند الأغريق في القرن الخامس، وها هو شاعرهم «بندار» يقول في قصيدته الأولمبية الثانية (سيجد العظماء في الأرض قاضيا في الجحيم، فالذين ارتكبوا منهم أعمالاً محرمة تحاكمهم الآلهة «انانكي») (٣).

ثم تمر السنوات حتى يأتي افلاطون (مولده بين ٤٢٩ ـ ٤٢٧) فيقول: «فإذا

---

(١) مشاهد القيامة: ص (٢١).
(٢) المرجع السابق: ص (٢٢).
(٣) المرجع نفسه: ص (٢٧).

جاءت الأموات امام قاضيهم دعاهم «ردامانت» أخو «مينوس» إلى القرب منه ثم فحص روح كل واحد منهم من غير أن يعرف لمن هي، فإن وجدها مملؤة فساداً وخبثاً وكانت قد عاشت بعيداً عن الحقيقة بعث بها إلى السجن لتلقى العذاب الذي تستحقه» (١).

ثم يقول: «وردامانت يرسل المحكوم عليهم إلى قاع الجحيم بعد ان يسمهم بميسم تبعاً لقابليتهم للتطهير. أما روح الذي يرى أنه عاش في الطهر وفي الحقيقة فإنه يبتهج به ويرسله إلى الجزائر السعيدة» (٢).

(و) ـ اليوم الآخر عند الرومان:

إن نظرة الرومان إلى العالم الآخر يعبر عنها شاعرهم الأكبر فرجيل (٧٠ ـ ١٩ ق. م) في ملحمته الألياذة في أحد فصولها يذهب «اينياس» بطل الملحمة إلى العالم السفلي للإلتقاء بروح أبيه «انشيز» لإستفتائها في مستقبله ومستقبل ذريته، ويهبط مع كاهنة تقوده إلى منازل الموتى وقد امتلأت أشباحاً وأرواحاً ويعبران نهر «ستكس» وهو نهر في الجحيم مليء بالحيات والحيوانات المخيفة ويشرف على عبورها «شارون» النوتي الكئيب الذي يقود أرواح الموتى، ثم تمضي الكاهنة يتبعها «اينياس» في عالم كله يأس وقنوط، تروح فيه وتغدو صنوف من اشباح الموتى، وهنالك يلتقي «اينياس» بكثيرين من أبطال «طروادة» وأخيراً يلقى أباه فينبئه بما قد كتب لسلالته من مجد وفخار (٣).

---

(١) مشاهد القيامة: ص (٢٧).

(٢) المرجع نفسه: ص (٢٨).

(٣) مشاهد القيامة: (٢٨).

(ز) ـ اليوم الآخر في الديانة الزرادشتية:

توجب الديانة الزرادشتية الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والجنة والنار، على وجه لا يختلف كثيراً في جملته، بل لا يختلف كثيراً في تفاصيله نفسها عما يقرره الأسلام.

فعقائدهم تقرر أن الساعة ستقوم على أثر حادث فلكي وذلك أن كوكباً يصطدم مع الأرض، فتميد بالناس وتخر الجبال هدا، وتذوب العناصر ويصهر النحاس، ويسيل إلى جهنم ويفنى «أهريمان» واعضاؤه من الشياطين، ويغسل الناس في منصهر النحاس ويجده الصالحون برداً وسلاماً ثم يجمع بعد ذلك هرمز «أهورامزدا» [١] الخلائق ويمدهم بحياة جديدة ويجازيهم بأعمالهم.

هذا فيما يتعلق بمن يكونون على قيد الحياة وقت قيام الساعة. أما الذين يموتون قبل ذلك فتحاسب أرواحهم عقب موتهم مباشرة، وذلك أن الروح تحوم عقب الوفاة فوق الجسد ثلاثة ايام تشقى فيها أو تنعم وفقاً لسيرة صاحبها في الحياة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر [٢]. وفي اليوم الرابع تهب من الجنوب على الروح الصالحة ريح طيبة تتضوع بالمسك وتتلقى روح الميت عند أول الصراط «بل جنوات» أي جسر المفارقة المضروب فوق جهنم بفتاة بيضاء الذراعين منقطعة النظير في جمالها، فتسألها من أنت؟ فتقول: أيها الشاب الطيب السريرة، الطيب القول، الطيب العمل، أنا وجدانك وضميرك كنت محبوبة فزدت الناس محبة فيّ، وكنت جميلة فزدتني جمالاً، ورفعت من شأني بفكرك الصالح وقولك الطيب وعملك المبرور. ثم تمضي الروح بإرشاد هذه الفتاة وهدايتها إلى حضرة (أهورامزدا) فتعبر الصراط إلى الجنة يستقبلها ملك جالس على كرسي من ذهب عند باب الجنة فيفتح بابها ويقول لصاحبها: أدخل سالماً آمناً وتمتع بحياة هنيئة [٣].

أما روح الشقي فتلتقي بمخلوق بشع المنظر نتن الرائحة أو عجوز مفزعة،

---

(١) الأسفار المقدسة: (١٤٩).

(٢) أهوارا مازدا: إله الخير، خالق الكون وحافظه من الفساد الذي يحاوله إله الشر (أهريمان).

(٣) الأسفار المقدسة: (١٥٠).

ولا تستطيع العبور على الصراط فتهوى في دركات النيران [١] وليست الفتاة الجميلة التي تلقى الروح الصالحة حقيقية ولا العجوز حقيقية، إنما هي صورة اعمال الميت وهي ضميره الذي يقوده إلى حيث مصير الحساب والحكم الأخير [٢].

وعلى باب هذا المصير يوجد ثلاثة قضاة بينهم (ميتهرا) وهناك ينصب ميزان يوضع في إحدى كفتيه حسنات الميت، وفي الأخرى سيئاته، وبناء على صعود إحدى الكفتين أو هبوطها يصدر الحكم على مصير هذا الميت، ثم يؤمر من تمت محاسبته بالمرور فوق المعبر أو الصراط الممتد فوق الجحيم الذي يتسع امام الأخيار، ويضيق حتى يكون أدق من الشعرة وأحدّ من الشفرة، أمام الأشرار الذين يهوون في جحيم مظلم ظلاماً كثيفاً متزاحمين كأنهم كمية من الشعر في معرفة حصان، يشعر أحدهم في وسط الزحام هذا، بوحدة قاسية، وعزلة ممضة [٣].

فالروح بعد ان تعبر صراط الحساب تحتل إحدى منازل ثلاث:

- منزلة الأشقياء في جهنم دار الجحيم.
- أو منزلة السعداء في الجنة فردوس النعيم.
- أو منزلة وسطى بين هؤلاء وهؤلاء [٤].

فالأخيار يذهبون إلى النور حيث يستقبلهم «أهورامزدا» بعد أن يمروا وسط العمل الصالح وهناك يستمتعون بالسعادة الأبدية [٥].

أما من استوت حسناتهم وسيئاتهم، فهم يوضعون في مكان فسيح بين السماء والأرض، يقاسون فيه الم الحر والبرد، وينتظرون في رهبة وامل الحكم الأخير على مصيرهم، الذي يظل مجهولاً ما داموا في هذا المكان، وهي منزلة وسط بين النعيم والجحيم [٦].

---

(١) الأسفار المقدسة (١٤٩ ـ ١٥٠).

(٢) مشاهد القيامة: (١٩).

(٣) المرجع السابق: (٢٠).

(٤) الأسفار المقدسة: (١٥٠).

(٥) مشاهد القيامة: (٢٠) وأصول الدين: (٧٥١) عن العقائد والأديان: (٧٦١) وقصة (٣١٤).

(٦) المرجع السابق.

وجنة زرادشت تقع أقصى شرقي جبال البرز «هرابيرازيتي» ويرتفع الجبل متجاوزاً النجوم إلى عالم النور اللانهائي، ويصل إلى الجنة (أهورامزدا) في منزل النغم وهو أم الجبال وقمته سابحة في العزة الأبدية حيث لا ليل ولا برد ولا مرض [1].

ويلاحظ أن الثواب والعقاب لم يكونا ينصبان على كل حسنة أو كل سيئة على حدة، بل على مجموعة النوعين، فإذا رجحت الحسنات كفرت السيئات مهما كانت كل واحدة منها في ذاتها جسيمة. كما يلاحظ أن الندم والتوبة لم يكونا معتبرين وأن الغفران في الحساب لا وجود له البتة، لانه مؤسس على العدل لا على الرحمة [2].

---

(١) الأسفار المقدسة: (١٥٠).

(٢) مشاهد القيامة: (٢٠).

(ح) ـ اليوم الآخر في حضارة وادي الرافدين :

فكرة القيامة وبعث الأموات لم يوجد دليل من النصوص المسمارية يثبت أن العراقيين القدماء يعتقدون بقيامتهم أو بعثهم من الموت وليس هنالك ما يثبت امكانية عودة روح الميت إلى جسده، وهذا المعنى نجده واضحاً على لسان كلكامش حين يندب صديقه (انكيدوا) فيقول: «آه لقد غدا صاحبي الذي أحببت، وأنا ساضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين».

أما حين تتحدث النصوص المسمارية القديمة عن عودتها إلى عالم الأحياء فإنها تقصد عودتها بهيئة اشباح مستقلة عن الجسد [١] .

أما فكرة الحساب فقد رجح الباحثون انتفاء وجود حساب للموتى في عالم الأموات وبالتالي انتفاء وجود عقاب أو ثواب في ذلك العالم.

وكان سكان وادي الرافدين القدماء يعتقدون أن الخطيئة قديمة بقدم الإنسان يتعرض لإرتكابها دائماً بقصد أو بدون قصد وارتكاب أي خطيئة ينجم عنه اضرار جسيمة تتجلى في أمرين:

(١) ـ تخلي الآلهة عنه فيقع عندئذٍ فريسة للمصائب والكوارث والأمراض وتلاشي السكينة والهناء.

(٢) ـ تقصير أجل الحياة وإحلال الموت بالمذنب عقاباً له على ما ارتكبه من خطيئة [٢] .

أما الثواب فهو صفاء العيش وطول العمر الذي يلحق من يفعل الفضيلة والحسنات والأعمال الورعة كالخوف من الآلهة وتقديم القرابين وبناء المعابد، وصنع التماثيل للآلهة ويتجلى هذا في قول سرجون (٧٢١ ـ ٧٠٥ ق. م) «لحفظ راحتي واطالة ايامي واستقرار حكمي اركع على الدوام بنفسي في العبادة».

وعلى هذا فإن عالم الأحياء في نظرهم هو دار الثواب والعقاب وليس عالم الأموات [٣] .

---

(١) أصول الدين: (٣٤٤). عن عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين:

(٢) المرجع السابق: (٣٤٥).

(٣) المرجع نفسه: (٣٤٦).

(ط) ـ اليوم الآخر عند الصابئة:

يعتقد الصابئة المندائيون أن الموت انتقال من العالم المادي، الذي هو بمثابة سجن ومنفى مؤقت للروح إلى العالم الروحي وتخلد هناك فتحاسب حساباً عسيراً، بأن توزن اعمال صاحبها، فإن رجحت حسناته فإن روحه تذهب إلى عالم الأنوار (الجنة) فتنعم كالقديسين والروحانيين، وإن رجحت سيئاته فإن روحه تقاد «للمطراثة» في عالم الظلام «النار» حيث تتعذب فيه بدرجات متفاوتة إلى أن تتطهر من ذنوبها ثم ترسل إلى عالم الأنوار[1] .

مما تقدم يتضح أن فكرة الإيمان باليوم الآخر كانت سائدة قبل آلاف السنين قبل الميلاد ـ منذ بداية التاريخ ـ مما يدل على أصالتها وانسجامها مع الفطرة السليمة ومع فكرة العدل الآلهي والتي تجمع الديانات السماوية على الإيمان بها.

---

(١) أصول الدين: (٣٥٤). عن الأديان. د. رشدي عليان: ص (١٨٧).

الفصل الثالث

الباب الأول : اليوم الآخر في التوراة وعقائد اليهود .

الباب الثاني : اليوم الآخر في الإنجيل وعقائد النصارى .

الباب الثالث : تشابه نصوص من القرآن مع نصوص من الأناجيل .

الباب الرابع : اليوم الآخر في الإسلام .

الفصل الثالث

اليوم الآخر في التوراة وعقائد اليهود

لقد كانت الديانة اليهودية في أصلها تقر بالبعث والنشور والحساب والجنة والنار وكانت تؤمن بالحياة الآخرة بدليل الكتاب العزيز، كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ (النساء - ١٦٣) وهؤلاء انبياء بني اسرائيل.

يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: «موكب واحد يتراءىٰ على طريق التاريخ البشري الطويل ورسالة واحدة بهدي واحد للانذار والتبشير . . . كلهم تلقى الوحي من الله» (٢/٥٩٢ - في ظلال القرآن).

وهذا يدل دلالة قطعية على أن العقيدة واحدة عند جميع الرسل، فعقيدة بني اسرائيل كعقيدة أمة محمد ﷺ عقيدة الاسلام والتي من أركانها الإيمان بوحدانية الله والإيمان باليوم الآخر، ويزيد هذا المعنى تأكيداً ما جاء على لسان أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام التي ذكرها الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز إذ يقول: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ (البقرة - ١٢٦) وتتكرر عقيدة التوحيد والإيمان باليوم الآخر على لسان نبي آخر من أنبياء بني اسرائيل وهو سيدنا يوسف عليه

وعلى رسولنا الصلاة والسلام حيث قال: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ (يوسف ٣٧ - ٣٨) ويقول تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ (طه ١٤ - ١٦).

ويقول تعالى أيضاً حكاية عن مؤمن من آل فرعون وهو يدافع عن موسى عليه السلام: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر ٣٩ - ٤٠) وقال: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ (الأعلى - ١٦).

نصوص القرآن التي تحكي عقيدة بني اسرائيل في هذا كثيرة، لا يتسع المقام لذكرها، وقد بعث النبي ﷺ وأهل الملة اليهودية متواجدون في أكثر بقاع الأرض، وبلغهم ما حكاه القرآن الكريم عن أنبيائهم من إثبات المعاد وإثبات النعيم الجسماني والروحاني ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك أو قال: أنه خلافاً لما في التوراة، وقد نزل أكثر القرآن على النبي ﷺ في المدينة وكان اليهود متواجدون فيها وفيما حولها من القرى المتصلة بها، وكانوا يسمعون ما ينزل من القرآن، ولم يسمع أن قائلاً منهم قال للنبي ﷺ: انك تحكي من التوراة ما لم يكن فيها، من البعث، وما أعده الله في الدار الآخرة من النعيم للمطيعين، والعذاب للعاصين، بل كانوا في بعض الأحيان ينكرون وجود ما هو موجود في التوراة، كالرجم، فكيف يسكتون عن هذا الأمر العظيم؟ وهل كانوا يعجزون من أن يقولوا عند سماعهم لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ (البقرة - ٨٠) ما قلنا هذا ولا نعتقده ولا جاءت به شريعة موسى؟ وهكذا عند سماعهم لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ (البقرة - ١١١)، وقد كان أمر المعاد مشتهراً في أهل الكتاب، وكانوا يتحدثون به، واستمر ذلك فيهم، استمراراً ظاهراً، ومن ذلك، ما أخرجه ابن اسحاق [1]

---

(١) إرشاد الثقات: ص (٢٣) عن السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٢٥ - ٢٢٦).

قال: «حدثنا صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلمة بن وقش قال: كان بين بيوتنا يهودي، فخرج على نادي قومه[1] بني عبد الأشهل - ذات غداة، فذكر البعث، والقيامة، والجنة، والنار، والحساب، والميزان، فقال: ذلك لأصحاب وثن، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت، وذلك قبل مبعث رسول الله ﷺ، فقالوا: ويحك يا فلان، أو ويلك، أو هذا كائن إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، ويجزون عن أعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به، لوددت أن حظي من تلك النار، أن توقدوا أعظم تنور في داركم، فتحمونه، ثم تقذفوني فيه، ثم تطينون عليّ، وأني انجو من تلك النار غدا» [2] .

وبعد بعثة رسول الله ﷺ، روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلت عليّ عجوزان من عُجز يهود المدينة فقالتا: أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قالت: فكذبتهما ولم أنعم (أطب نفساً) أن أصدقهما فخرجتا ودخل عليّ رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فقال ﷺ: «صدقتا، إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم» [3] .

أما إذا أردنا أن نبحث عن الأدلة في التوراة والتلمود وعن النصوص التي تدعو إلى الإيمان باليوم الآخر، والترغيب في الجنة والترهيب من النار، فإننا نخرج بنتيجة مغايرة لما ذكره القرآن الكريم على لسان انبيائهم، وما ورد على لسان علمائهم - كما سنرى - لم يذكر اليوم الآخر على أنه يوم الحساب والجزاء ولم يصرح به، لا في التوراة، ولا في التلمود، وهذا ما شهدت به فلاسفتهم، كابن كمونة وغيره [4] . فلقد قال في كتابه تنقيح الأبحاث: «إنه من المعتقد لدى اليهود، أن ثواب الطاعة، هو الخلود في نعيم الجنة، وإن عقاب المعصية، هو العذاب في جهنم، من غير خلود لمعتقد هذه الشريعة، وإن كان عاصياً على أنه

(١) الضمير هنا يعود على سلمة.
(٢) إرشاد الثقات: ص (٢٢ - ٢٣).
(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب إستحباب التعوذ من عذاب القبر (١/ ٤١١).
(٤) ابن كمونة: سعيد بن منصور بن الحسن بن هبة الله بن كمونة الإسرائيلي، وقد يطلق عليه «عز الدولة» و «ابن كمونة».

لم يبين شيئاً عن ذلك في التوراة، تبييناً صريحاً، لكن نقله أحبار الأمة وعلماؤهم، ونقله شرعهم، بالغين إلى درجة الاستقصاء في ذكر الجنة والنار ووصف النعيم والعذاب» (١) .

ويقول مراد فرج اليهودي في كتابه اليهودية ينتقد رجلاً نقد القرائين من اليهود: «وزعم المؤلف أن القرائين لا يؤمنون بالآخرة وعجيب منه يذكر لهم من جملة انتقاداته عقيدة الإيمان بضرورة علم اللغة والنحو والصرف والبيان وغيره ويبتلع الثامنة عقيدة إحياء الموتى والثواب والعقاب ورضي الله عن المنصفين دونه من الربانيين فلم ينكروا، بل أقروا صريحاً بهذه العقيدة للقرائين مع كراهتهم لهم» (٢) .

أما ما ورد في التوراة فهو عبارة عن اشارات بسيطة عن يوم الجزاء وأنه قد يكون في الدنيا ـ وعن الجنة والجُحيم ولهذا يقول اليهود السامريون إن في التوراة نصاً يدل على يوم القيامة، وإن العبرانيين حرفوه إلى يوم الجزاء، وقد يكون يوماً من أيام هذه الحياة الدنيا، والنص لفظه: «أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزائني، لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم إن يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة» (٣) .

ويقول أيوب عليه السلام: «أما أنا فقد علمت أن ربي حي والآخر على الأرض يقوم وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله» (٤) (٥).

وفي التوراة أيضاً في أولها عند الكلام على ابتداء الخليقة وقع التصريح باسم الجنة(٦) وقد تشعرنا بعض النصوص تارة أن الجنة والنار في هذه الدنيا وتارة أخرى تصرح بأن الجنة والنار في الآخرة كما اشرنا من قبل. فقد ورد في سفر التكوين الإصحاح الثاني من التوراة .

---

(١) ابن كمونة البغدادي: أعماله وآراؤه، ص (١٩٠).
(٢) نقد التوراة: (٢٦٤).
(٣) سفر التثنية: (٣٢/ ٣٤ ـ ٣٥).
(٤) سفر أيوب: (١٩/ ٢٥ ـ ٢٦).
(٥) نقد التوراة: (٢٦٣).
(٦) إرشاد الثقات: (١٠).

«وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبله وأنبت الرب الاله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفه الخير والشر وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. . . وأخذ الرب الاله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها، وأوصى الرب الاله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (١) .

وبعد عرض قصة أكل الشجرة نجد أنه ذكر في هذا السفر طرد الله سبحانه آدم من الجنة.

«فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها» (٢) .

وكما وقع التصريح في التوراة باسم الجنة فقد وقع التصريح فيها باسم النار «وان الله خلق خلقاً وتفتح الأرض فاها فينزلون إلى الثرى هؤلاء القوم الذين عصوا الله. وقال: أحجب رحمتي عنهم وأريهم عاقبتهم وكما أنهم كادوني بغير إله واغضبوني بغزوراتهم كذلك إني أكيدهم لأن النار تتقدح من غضبي وتتوقد إلى اسفال الثرى فتأكل الأرض نباتها حتى تستطلع اساسات الجبال، كذلك أزيد عليهم شروراً وسهامي أفرقها فيهم» (٣) (٤) انتهى.

وفي التوراة أيضاً ما لفظه: «واحفظوا رسومي واحكامي فإن جزاء من عمل بها، أن يحيا الحياة الدائمة» (٥) انتهى، ولا حياة دائمة في الدنيا، بل في الآخرة. وفي التوراة من النصوص على هذا المعنى كثير.

وفي الفصل السادس والعشرين من كتاب النبي أشعيا ما لفظه: «يقوم الموات ويستيقظ الذين في القبور» (٦) انتهى وفي كتابه أيضاً ما لفظه: «مزكى

---

(١) تكوين (٢/٨ ـ ١٧).
(٢) تكوين (٣/٢٤).
(٣) تثنية: (٣٢/٢٠ ـ ٢٤).
(٤) إرشاد الثقات: (١١٠).
(٥) حزقيال: (١٨/٩).
(٦) أشعياء: (٢٦/١٩).

الظالم لأجل الرشا وزكاه الزكى يزيلونها عنه لذلك، كما تأكل القش لسان النار والهشيم ما يخليه اللهيب غدا، حرهم يكون كالبرق وفروعهم تصعد كالغبار وأن زهدوا في توراة رب الجيوش وقول قدوس العالم به، أن الهاوية موقودة من امس، وهي أيضاً اصلحت للملوك عمقها فاوسعها ناراً وحطباً كثيراً، وأمر الله كواد من كبريت مشتعل فيها» (١) .

وقال: «ويحرقون ينظرون إلى أجسام القوم الذين كفروا بي: إن دودهم لا تموت ونارهم لا تطفىء فيصيرون عبرة لباقي البشريين» (٢) انتهى.

وقال ايضاً في كتابه المذكور في حقيقة تلذذ أهل الجنة: «لا عين تقدر تراه إلاعلم الله تعالى» (٣) .

وفي الفصل الثاني عشر من كتاب دانيال ما لفظه: «وكثير من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار والإزدراء الأبدي» (٤) انتهى.

وفي زبور النبي داود عليه السلام في المزمور السادس منه ما لفظه: «وأنت يا رب (فحتى متى عد) يا رب ونج نفسي وخلصني من أجل رحمتك لأنه ليس في الموت ذكرك في الهاوية من يحمدك ولا في الجحيم من يعترف لك» (٥)' انتهى.

وعند ذكر البعث ينص الفصل السادس والعشرين من كتاب اشعيا في التوراة ما لفظه: «تحيا أمواتك وتقوم الجثث استيقظوا ترنموا يا سكان التراب» (٦) والنص المذكور أعلاه أيضاً ليؤكد الفكرة.

هذه الإشارات كلها محدودة جداً ولا تعطي فكرة واضحة عن اليوم الآخر كما يجب أن ترد في كتاب سماوي ولكنها تصرح أن هناك جنة ونعيم وهناك نار وجحيم وحياة أبدية.

---

(١) أشعياء: (٣٠/٣٣).
(٢) أشعياء: (٦٦/٢٤).
(٣) أشعياء: (٦٤/٤).
(٤) دانيال: (١٢/٢).
(٥) : داود: مزمور السادس. (٣ ـ ٥).
(٦) أشعيا: (٢٦/١٩).

«ولقد ظهر في أحبار اليهود من قال بالعذاب المعنوي لا بعذاب الأجسام المادي فكفره رجال الدين اليهودي كما فعل ابن ميمون في رسالته التي كتبها في إبطال المعاد الجسماني وانكر عليه متقدموا اليهود فأخفاها إلا عمن يرى رأيه قال: رأيت جماعة من يهود بلاد الإفرنج بانطاكية وطرابلس يلعنونه ويسمونه كافراً» هذه رواية نصراني عن طائفة اليهود وانهم كفروه ولعنوه بسبب هذه المقالة مع أنه اعترف في كتاباته بالمعاد الذي ورد في كتابه المشنا في فقه اليهود» [١].

يؤمن اليهود باليوم الآخر ولكنه لم يرد في دينهم شيء عن الخلود وكأن ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا.

يقول الفيلسوف الفرنسي رينان في كتابه المسيح إن الفلسفة اليهودية كان من مقتضاها السلطة الفعلية في نفس هذا العالم فإنه يؤخذ من أقوال شيوخهم أن الصالحين يعيشون في ذاكرة الله والناس إلى الأبد وهم يقضون حياتهم قريبين من عين الله ويكونون معروفين عند الله ، أما الأشرار فلا، هذا كان جزاء أولئك وعقاب هؤلاء.

وإن فرقة الصادوقيين من اليهود ينكرون قيام الأموات ويعتقدون أن عذاب العصاة واثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم الدنيا.

أما فرقة الفريسيين فتعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعاً في ديانة موسى أي أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا، فمهما يكن من خلاف بين الفريقين فإنهما متفقان في إنكار اليوم الآخر على النحو الذي يقرره الأسلام. وقد ورد في بعض فقرات التلمود ذكر الجنة والنار ولكن في صورة مضطربة أدنى إلى الخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة، فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوى إليها الأرواح الزكية وأن أهلها يطعمون من لحم انثى الحوت المملحة فتقرر بعض أسفار التلمود (أن الله يقضي الساعات الثلاث الأولى من النهار في مذاكرة الشريعة والثلاث الثانية في شؤون الحكم بين الناس والساعات الثلاث الثالثة في تدبير العيش للخلق وأما الساعات

(١) إرشاد الثقات: (١٤).

الثلاث الأخيرة فيقضيها في اللعب مع الحوت ملك الأسماك وهو حيوان كبير جداً يتسع حلقه سمكة طولها ثلاثمائة فرسخ بدون أن تضايقه وقد رأى الله أن يحرمه من انثاه حتى لا يتناسلا فيملأ الدنيا وحوشا تهلك من فيها وتأتي على الحرث والنسل ولهذا حبس الذكر بقوته الالهية وقتل الأنثى وملحها وحفظها لطعام المؤمنين في الفردوس» (عن الأسفار المقدسة ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠).

كما يتناولون لحم طير كبير لذيذ الطعم ولحم أوز سمين وإن شربهم فيها نبيذ معتق عصره الله في اليوم الثاني من الأيام التي خلق فيها العالم. (عن سفر سنهدرين ص ـ ٨).

وفي اعتقادهم أنه لا يدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم فهو مأوى الكفار، ولا نصيب لهم سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين. ويوجد في كل محل منه زيادة على ذلك ست الآف صندوق في كل صندوق منها ست الآف برميل ملأى بالصبر. والجحيم أوسع من النعيم ستين مرة لأن الذين لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين والذين لا يختتنون كالمسيحيين الذين يحركون أصابعهم (يعملون إشارة الصليب) يبقون هكذا خالدين إنتهى. (عن الكنز المرصود في قواعد التلمود ـ ٦٨).

والقرآن الكريم يشير إلى اعتقادهم هذا ويرد عليهم بقوله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ١١١ ـ ١١٢).

ـ أرواح اليهود:

أما نظرة التلمود إلى الأرواح فهي: أن الأرواح كلها خلقت في الستة أيام الأولى للخليقة ووضعها الله في المخزن العمومي في السماء ويخرج منها عند اللزوم، أي كلما حملت امرأة ولداً.

وخلق الله ستمائة الف روح يهودية كما جاء في التلمود، لأن كل فقرة من التوراة لها ستمائة الف تأويل وكل تأويل يختص بروح من هذه الأرواح.

وفي كل يوم سبت تتجدد عند كل يهودي روح جديدة على روحه الأصلية، وهي التي تعطيه الشهية للأكل والشرب وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها

جزء من الله كما أن الإبن جزء من والده. أما أرواح غيرهم فهي أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات.

- التناسخ:

وذكر في التلمود: وبعد موت اليهودي تخرج روحه وتشغل جسماً آخر، فإذا مات أحد الجدود مثلاً تخرج روحه وتشغل أجسام نسله الحديثي الولادة.

أما اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهوديا فإن أرواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات أو النباتات ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب عذاباً اليماً مدة اثني عشر شهراً ثم تعود ثانياً وتدخل في الجمادات ثم الحيوانات، ثم الوثنيين ثم ترجع إلى جسد اليهود بعد تطهيرها.

أما هذا التناسخ فقد فعله الله رحمة باليهود لأنه سبحانه وتعالى أراد أن يكون لكل يهودي نصيب في الحياة الأبدية. (الكنز المرصود ٦٦ ـ ٦٧).

- التشابه بين اليهودية والأسلام:

بينما نرى نظرة علماء اليهود عن الحياة الآخرة تختلف عما هي في التلمود، بل نجدها أقرب إلى الاسلام ليس فقط في اليوم الآخر بل حتى في كثير من عقائده فهذا مراد فرج يقول:

«التوحيد والجهاد لله ومقاتلة الإشراك والمشركين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإكرام الوالدين، والصلاة والصوم والطهارة وتوقي النجاسة، والعدوى والنهي عن المحارم، وغير الحلال من المطعومات، كل ذلك في التوراة قبل القرآن واجتناب الطمث ومنع الجنب من المسجد وغسل الميت وتكفينه ومواراته التراب وخلود الروح، والثواب والعقاب، كل ذلك في التوراة قبل القرآن» (عن نقد التوراة ـ ٢٦٤).

وفي التلمود في الفصل الحادي عشر من سفر سنهدريم «كل اسرائيل لها نصيب في العالم الآتي أما هؤلاء فلا نصيب لهم فيه من يزعم أن القيامة ليست عقيدة توانية .. الخ».

أما الفيلسوف اليهودي ابن كمونة فيؤكد ما نقله أحبار اليهود وعلماؤها عن اليوم الآخر فيقول: «وقد أوجبوا ذكر الإيمان بأحياء الأموات

في كل صلاة حاكمين بعدم صحة أي صلاة أخل فيها بذلك وأيضاً فقد أوجبوا ذكره في كل يوم من غير صلاة وكذلك أوجبوه أيضاً عند رؤية مقابر هذه الأمة كما لقنوا من وجب قتله عندهم قبل قتله أن يسأل أن تكون قتلته هذه كفارة لما سلف من ذنبه» (١) .

وتعتقد فرق من اليهود أن بعث الأموات يحصل مرتين :

الأولى: في زمن المسيح المنتظر عندهم وذلك البعث مختص بالصالحين من الأمة على وجه المعجز للمسيح والكرامة لاولئك الصالحين كما ذكرنا ذلك سابقاً.

والأخرى: ببعث الموتى في القيامة العامة لكافة الناس صالحين أو طالحين للجزاء بالثواب الأبدي على الطاعة وبالعقاب على المعصية.

وفي معتقدات اليهود، بقاء الأنفس بعد فساد الأجساد وأنها تقدم أبداً لورود ذلك في كتب الأنبياء من بعد موسى بالإضافة إلى ما نقله الصادقون من الأحبار والعلماء.

وقد نبغ من اليهود فريق يزعم أن العالم الآتي هو ما بعد الموت فقط ويتعلق الثواب والعقاب بالأنفس المجردة بعد خراب أجسادها وليسا بجسمانين بل هما روحانيان لا غير وهذا ما سبق أن ذكرناه عن موسى ابن ميمون. وتنطق نقول علمائهم بالمجازاة ثواباً وعقاباً بغير عودة الأنفس إلى الأبدان وهي لا تحتمل التأويل عند كل عاقل يمعن الفكر فيها (٢) .

---

(١) تنقيح الأبحاث: ص (٢٦) عن ابن كمونة أعماله وآراؤه: ص (١٩١).

(٢) تنقيح الأبحاث: ص (٢٧)..

فلسفة اليهود في الآخرة والبعث

يقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه مقارنة الأديان (ص ـ ١٩٤) ما يلي :

تهتم اليهودية بالأعمال ولا تعتن بالإيمان وهي في جوهرها اسلوب حياة لا عقيدة تعتقد. وهي في هذا تختلف عن المسيحية التي تعني بالإيمان وتجعله يفوق العمل الصالح . فالإتجاه الخلقي عند اليهود في التصرفات اليومية أهم من الأعتقاد السليم وأن مجالها هو هذا العالم الحاضر ومن دائرة المعارف العبرية يقرر كوهلر أن اليهودية ليست عقيدة أو نظاماً في العقائد يتوقف على قبولها الفداء والخلاص في المستقبل ولكنها نظام للسلوك البشري وناموس البر الذي يتحتم على الإنسان اتباعه ويقرر الفكر اليهودي بناءً على ذلك أن الجزاء يكون حسب الأعمال لا حسب الإعتقاد «وأشهد السموات والأرض على أنه سواء كان المرء يهودياً أو وثنياً رجلاً أو امرأة حراً أو مقيداً فإنه سينعم بالجزاء حسب أعماله دون سواها»، من هذا النص يتضح أن اليهودية دين اعمال لا دين عقائد فمن الواضح تبعاً لذلك أن لا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب وقد ورد في قصة الحضارة (ص ـ ٣٤٥/٢) ما يلي :

جنتهم في فلسطين والبعث بعثها والنشر نشرها ويوم الحساب هو اليوم الذي يحاسبون فيه كل الأمم يوم يعود المسيح ويباركهم ويختارهم نواباً في حكم العالم وإقامة ملكوت الله . والعجيب أنهم كفروا بالمسيح حينما جاء ثم

أعلنوا ايمانهم بعودته وشرطوا هذه العودة بأنها رجعة من المسيح ليختار رؤساء وحكاماً إلى الأبد.

مما تقدم يمكننا أن نستنتج أن عقيدة الإيمان باليوم الآخر عند اليهود لم تكن بالعقيدة الواضحة البينة، بل هي فكرة مضطربة نراها في التوراة لا تعدو إشارات بسيطة غامضة ولهذا لم يتضح ما إذا كانت الجنة وثوابها والنار وجحيمها في الدنيا أم في الآخرة، وهي في التلمود فكرة غريبة جداً أقرب إلى الخرافة والأساطير، وهي عند علمائهم وأحبارهم تقترب في بعض الجوانب من عقيدة الأسلام. ولقد لاقت هذه الفكرة رواجاً عند الفريسيين واستنكاراً عند الصدوقيين.

كل ذلك بسبب التحريف والتزييف الدائم في كتبهم بالازاحة والإضافة عليها مما أوصلتهم إلى هذا الإضطراب ولا يستغرب هذا عنهم فهم قتلة الأنبياء والمفترون على الله الذين استحقوا غضبه وخسفه ومسخه.

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه المحاور الخمسة (ص ـ ١٥) ما يلي:

لقد تكرر ذكر البعث والجزاء في كتاب الله بحيث لا تكاد تخلو منه سورة وعلى عكس ذلك التذكير المتصل في القرآن نجد أسفار موسى الخمسة التي تتصدر العهد القديم وتسمى التوراة: خالية من أي تعرض لليوم الآخر كأن مؤلف كتاب رأس المال كارل ماركس الشيوعي المادي هو الذي وضع هذه التوراة. ويؤكد هذا المعنى الدكتور محمود بن الشريف في كتابه الأديان في القرآن (ص ـ ١٠٣) فيقول بأن من مظاهر التحريف ودلائله في التوراة هو إغفالها لذكر اليوم الآخر. والكتب السماوية من ركائزها الدعوة إلى التوحيد وإلى الإيمان باليوم الآخر فإذا خلت التوراة من هذه الركائز فهي ليست توراة الله بل العوبة المحرفين.

اليوم الآخر في الإنجيل وعقائد النصارى

يسمى علماء اللاهوت النصارى اليوم الآخر (اسخاتولجيا) وهي مركبة من كلمتين يونانيتين معناهما الكلام في الآخرة. أي الأمور المختصة بمستقبل النفس ونهاية العالم ومجيء المسيح ونصيب الأبرار وقصاص الأشرار.

وكما اسلفت في البحث السابق عن اليوم الآخر في التوراة وعقائد اليهود أكرر ما بدأت به وأؤكده على أن موكب الرسل الكرام موكب واحد يسيرون إلى الله في طريق واحد ويتلقون من اله واحد وبالتالي يدعون إلى عقيدة واحدة أحد أركانها الأساسية الإيمان بيوم المعاد.

إن الشرائع السماوية متآخية في أصلها، متآخية في دعوتها فإذا وقع خلاف ما في الأصول، فمرجعه إلى التحريف من الأتباع.

لقد كانت دعوة عيسى بن مريم عليه السلام كما رود في القرآن الكريم وفي بعض الآثار وكما تضافرت عليه أقوال المؤرخين تقوم على الزهادة والأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفي لأن تقوم عليه الحياة، وكان يحث على الإيمان باليوم الآخر، واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبني الإنسان في الدنيا إذ أن الدنيا ليست إلا طريقاً غايته الآخرة وابتداء نهايته تلك الحياة الأبدية.

ترى لماذا كانت دعاية المسيح عليه السلام إلى الزهادة في الدنيا والإبتعاد عن أسباب النزاع والعكوف على الحياة الروحية؟

الجواب على ذلك يكمن في ان الشرائع السماوية كلها تدعو إلى ذلك وهذا ما نراه جلياً في شريعة الإسلام ، أما السبب الثاني وهو أن اليهود كان يغلب عليهم النزعات المادية وكان منهم من يفهم أن الحياة الدنيا هي غاية بني الإنسان كما أسلفنا ، بل إن التوراة التي بأيديهم في ذلك اليوم خلت من ذكر اليوم الآخر وأن الثواب والعقاب انما يتمان في الحياة الدنيا.

ولكن الأيدي الآثمة والعقول الخبيثة أبت إلا أن تحرّف في الإنجيل، كما حرّف في التوراة من قبل أجدادهم، فبلغت ما بلغت من تشويه عقيدة التوحيد حيث جعلوا الاله الواحد ثلاثة: فقالوا بالتثليث الآب والابن وروح القدس، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وعقيدة اليوم الآخر أصابها التشويه لتتناسب مع تحريف عقيدة التوحيد فجعلوا الحساب من مهام ابن الالهالذي اخترعوه والقوا إليه مهمة الاله الأب، ولهذا ورد في الإنجيل ما لفظه: «إن كل من يرى الابن ويؤمن تكون له الحياة الأبدية وأنا أقيمه في اليوم الآخر»[١].

وفي رسالة بولس إلى أهل كورنثوس ما لفظه: «فإن لم تكن قيامة الأموات فالمسيح إذا لم يقم»[٢].

وهذا يدل ايضاً على أن القيامة لم تقم قبل أن يعود المسيح. ولهذا كانت هناك علامات لرجوعه ولا أحد يعرف متى سيعود غير أن الله قد أبقى ميعاد رجوعه مخفياً ليدرب الإنسان على حياة الإيمان والانتظار، ولقد حاول تلامذة المسيح معرفة وقت رجوعه فقال لهم: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الأب في سلطانه»[٣] اذن فرجوعه غير معلوم ولكنه اعطى اشارات وهي أشبه ما تكون بعلامات يوم القيامة عند المسلمين (اشراط الساعة).

- **أولها**: الارتداد الديني قال الرسول بولس في رسالته إلى أهل تسالونيكي:

---

(١) يوحنا: (٢٤).

(٢)كورنثوس الأولى: ١٥ (١٣ - ١٤).

(٣) أعمال: (١/٧)، (٨).

«لا يخدعنكم أحد من جهة رجوع المسيح لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً»[1].

- **ثانيها**: الإنحطاط الخلقي يقول بولس في رسالته إلى تيموثاوس: «ولكن أعلم هذا: أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم محبين للمال متعظمين مستكبرين مجَدِّفين . . »[2].

- **ثالثها**: الأزمات الأقتصادية والحروب: سأل التلامذة المسيح عن علامة مجيئه فأجاب: «سوف تسمعون بحروب وأخبار حروب»[3].

- **رابعها**: الحالة الاجتماعية:

يصف المسيح الحالة الإجتماعية التي ستكون سائدة قبل رجوعه قائلاً:

«وكما كان في أيام نوح كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الإنسان كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع كذلك أيضاً كما كان في أيام لوط كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون ولكن اليوم الذي فيه خرج لوط من سدوم: أمطر ناراً وكبريتاً من السماء فهلك الجميع هكذا يكون في اليوم الذي فيه يظهر ابن الإنسان»[4].

- **خامسها**: من علامات رجوع المسيح:

الحالة السياسية والدولية والكوارث الطبيعية: يقول المسيح في نبوءته عند انقضاء الدهر:

«وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب إحرصوا أن لا ترتاعوا لأنه لا بد أن تكون هذه كلها لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن ثم يأتي المنتهى»[5] [6].

---

(١) تسالونيكي الثانية: ٢ (٣ ـ ٤).

(٢) تيموثاوس الثانية: ٣ (١ ـ ٥).

(٣) متى: ٢٤ (٦ ـ ٧).

(٤) لوقا: ١٧ (٢٧ ـ ٣١).

(٥) متى: ٢٤ (٦ ـ ١٤).

(٦) نزول المسيح: راجع ص (٢٢) علامات رجوع المسيح.

ومن العلامات الهامة هي ظهور المسيح الدجال:

«حينئذٍ إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا لأنه سيقوم مسحاء كذَبَة وانبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً ها أنا قد سبقت واخبرتكم» (١).

وايضاً هناك علامات في الشمس والقمر والنجوم يقول الرب: «وتكون علامات في الشمس والقمرة والنجوم وعلى الأرض كَرْبُ أممٍ بِحَيْرَة البحر والأمواج تضج» (٢).

ويوم القيامة يوم تنتظره البشرية جمعاء إذ فيه ستلبس أرواح الموتى الأجساد ثانية بقدرة الله وتقوم من القبور والأجداث إلى حياة فضلى وأبدية ويرتبط موعد القيامة كما اسلفنا بموعد رجوع المسيح ارتباطاً وثيقاً لأن المسيح الذي قام أولاً من بين الأموات سيكون هو وسيط القيامة ومنجزها (بزعمهم) ولقد كتب الرسولِ بولس بهذا الصدد قائلاً: «ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الأخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم لأنه ان كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب» (٣).

والإيمان بالقيامة من الأموات يتعدى الفكرة القائلة بخلود النفس، فالكتاب المقدس يعلم أن الروح بعد الموت لن تبقى عارية بلا جسد إلى الأبد، بل ستلبس الروح جسداً من جديد وتقوم به لتعيش حياة دائمة مجيدة كما قال الكتاب: «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (٤).

---

(١) متى: ٢٤ (٢٣ - ٢٧).

(٢) لوقا: (٢١/ ٢٥).

(٣) تسالونيكي الأولى: ٤ (١٣ - ١٨).

(٤) فيليبي: (٣/ ٢٠)، (٢١).

أمـا اساس عقيـدة القيامـة والدليـل الواضـح على صحتها فهي قيـامـة الـرب يسـوع المسيح نفسـه من بين الأموات لأنـه إن كان المسيـح قد قـام فالجميـع أيضاً سيقومون [1].

ويكتب الـرسول بـولس عن القيامـة وتغيير الأجسـاد قائـلاً: «هوذا سـر أقولـه لكم: لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفـة عين عند البـوق الأخير فـإنه سيبوق فيقام الأمـوات عديمي فسـاد ونحن نتغير لأن هـذا الجسد الفـاسد لا بـد أن يلبس عدم فساد وهـذا المائت عـدم موت ومتى لبس هـذا الفاسـد عدم فسـاد وهذا المائت عدم موت حينئذٍ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة:

أين شـوكتك يـا موت اين غلبتـك يا هـاوية . . . » [2]. وفي هـذا إشاره إلى استخـدام البوق في القيـامة أمـا كيف ستكون صـورة جسد القيـامـة في عقيـدتهم؟ وهل سيشبه الجسد السابق؟

يقولون إن الجواب في قيـامـة المسيح : إن الجسـد المقـام يشـابـه الجسـد المائت تماماً فقد قام يسوع بجسـده من القبر وأظهـر نفسه حياً لتلاميـذه وأظهر لهم أثر المسامير في يديه وأثر الـطعنة في جنبـه أما بـالنسبة لمصيـر الأبرار والأشـرار يوم القيامة فإنهم يعتقدون، أن الأبرار يقومون بأجساد ممجدة وهذه القيامـة تدعى قيـامة الحيـاة لأن المقامين يملكـون مـع المسيـح ويحيـون في سعـادة إلى الأبـد، ويقـوم الأشرار بأجسـاد غير قـابلة للفناء وهـذه القيامـة تدعى قيـامة الـدينونـة لأن المقامين سيدانون ويـطرحون إلى الأبـد عن وجه الله في مكـان عذاب رهيب.(نـزول المسيح ص ـ ٣٣).

ـ أما بالنسبة للروح أين ستكون بين ساعة الموت وساعة القيامة؟

يجيبـون على هـذا السؤال بـأن أرواح المؤمنين تكـون في حـالـة سعــادة في الفردوس مع المسيح في انتظار القيامة للمجد والحياة.

أمـا أرواح الأشرار فتكـون في مكان عذاب، بانتـظار قيامـة الدينـونة والهـلاك

---

(١) نزول المسيح : ص (٣١).

(٢) كورنثوس الأولى: ١٥ (٥١ ـ ٥٦).

(نزول المسيح ص ـ ٣٤).

ويدعمون قولهم هذا من نصوص في الإنجيل فيقولون:

إن المسيح قال صراحة للص التائب: «الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس» (لوقا ـ ٢٣).

والرسول بولس يقول: «لي اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح ذلك افضل جداً» (فيليبي ١/٢٣).

وكاتب سفر الجامعة يقول: «فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها» (جامعة ١٢/٧).

وهذا يدل على أن الروح الصالحة في سعادة دائمة في القبر وبالمقابل تكون الروح الشريرة في عذاب دائم إلى قيام القيامة.

وجاء في انجيل يوحنا (٢٩ ـ ٣٠) ما يلي:

«الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون لأنه كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك اعطى الإبن أن تكون له حياة في ذاته، واعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان لا تعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة. أنا لا أقدر أن افعل من نفسي شيئاً كما اسمع أدين ودينونتي عادلة لأنني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني».

بعد استعراض أحداث يوم القيامة وعقيدة النصارى فيه، نستعرض فيما يلي يوم الدينونة وهذا اليوم الذي يحاسب فيه البشر في البداية أقول: إن في الكتاب المقدس صور متعددة ليوم الدين تظهر صفات الديان وطبيعة حكمه ومصير المدانين بعد اصدار الأحكام ومن ابرز هذه الصور قول المسيح:

ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذٍ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار، ثم يقول الملك للخراف تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملكوت المعد لكم

منذ تأسيس العالم ثم يقول أيضاً للجداء اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته فيمضي الجداء أي الأشرار إلى عذاب أبدي والخراف أي الأبرار إلى الحياة الأبدية» [1] .

ويعتقد المسيحيون أن المسيح بعد أن ارتفع إلى السماء جلس بجوار الأب على كرسي ، استعداداً لأستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا وقد جاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس «لا بد اننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل منا ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أو شراً» [2] .

وهناك نصوص أخرى في العهد الجديد تقرر هذا المبدأ نورد بعضها فيما يلي :

(١) ـ جاء في رسالة بولس إلى أهل افسس قوله : «أقام الله المسيح من الأموات وأجلسه عن يمينه في السموات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة واخضع كل شيء تحت قدميه» [3] .

(٢) ـ وفي رسالته لأهل رومية « إننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح » [4] .

(٣) ـ وفي انجيل يوحنا : «الأب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للإبن » [5] .

(٤) ـ ويروي يوحنا عن عيسى قوله : «أنا اسمع وأدين ودينونتي عادلة» [6] [7] .

وكما اسلفنا أن الذي سيدين البشر هو الرب يسوع المسيح ولقد تعين المسيح من الله دياناً بحسب قول بولس أيضاً في سفر الأعمال «لأن الله أقام يوماً

---

(١) متى : (٢٥) . من (٣١ ـ ٤٦) .
(٢) كورنثوس الثانية : ٥ (١٠ ـ ١١) .
(٣) أفسس : (١/٢٢) .
(٤) رومية : (١٤/١٠) .
(٥) يوحنا : (٥/٢٢) .
(٦) يوحنا : (٥/٣٠) .
(٧) مقارنة الأديان : أحمد شلبي ، (١٦) .

فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدماً للجميع اثباتاً لذلك إذ اقامه من الأموات» [١] .

أما طبيعة الدينونة فيقولون فيها أنها **شخصية** أي أن كل إنسان سيقف أمام الله بمفرده **وعامة** أي جميع الأمم وكل البشر، والحساب دقيق فيحاسب الإنسان على أقواله وأعماله وأفكاره.

كما يقول يسوع: «إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين» [٢] .

ويدعون أن الذي كشف ليوحنا في الرؤيا صورة عن طبيعة الدينونة ومن هم المدانون فكتب: «ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم، وسلم البحر الأموات الذين فيه وسلم الموت والقبر الأموات الذين فيهما ودينوا كل واحد بحسب أعماله وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طرح في بحيرة النار» [٣] ، من هذه الصورة نستنتج :

أن لكل انسان في عقيدتهم سفر يحتوي على سجل كامل بأعماله يواجه الرب به الإنسان الذي ينكر سيئاته وأنه يوجد سفر آخر هو سفر الحياة وهو يحتوي على اسماء الذين تابوا عن خطاياهم وآمنوا بالمسيح وأن المدانين الذين لم توجد اسماؤهم مكتوبة في سفر الحياة سيطرحون في بحيرة النار.

«وسيصعد دخان عذابهم إلى أبد الآبدين ولن تكون راحة لا ليل ولا نهار للذين ضاعت منهم فرصة التوبة فلم يرجعوا إلى الله وإلى مسيحه قبل فوات الأوان» [٤] [٥] .

---

(١) أعمال (١٧/ ٣١).
(٢) متى : (١٢/ ٣٦).
(٣) رؤيا: ٢٠ (١ - ١٥).
(٤) الرؤيا: (١٤/ ١١).
(٥) نزول المسيح : (٣٦).

أما الصالحون فإلى الفردوس مع الرب، ولقد ورد ذكر الفردوس في الأنجيل ثلاث مرات: في انجيل لوقا يقول يسوع إلى اللص التائب:

«فقال له يسوع الحق أقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس» (١).

وفي رسالة الرسول بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ما لفظه:

«واعرف هذا الإنسان أفي الجسد أم خارج الجسد لست أعلم الله يعلم أنه أختطف إلى الفردوس، وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها» (٢).

وفي رؤيا يوحنا اللاهوتي ما لفظه:

«من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس: من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله» (٣).

يقول الرسول: «ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين . . . المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه (الثاني)» (٤) والباكورة تعبير يراد به أوائل الحصاد والحصاد يشير إلى قيامة الأموات بالمسيح عند (انقضاء العالم) (٥).

فثمة إذاً قيامة شاملة كاملة، قيامة المسيح كانت أولاً، والذين للمسيح في مجيئه الثاني وهذا ما عبر عنه الرسول بولس في سياق دفاعه أمام الملك أغريباس: «أن يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات» (٦) (٧).

وقد اعلن الكتاب المقدس عن وجود قيامتين كبيرتين، وقد دعاهما

---

(١) إنجيل لوقا: (٢٣/٤٣).
(٢) كورنثوس الثانية: ١٢ (٣).
(٣) الرؤيا: (٢/٧).
(٤) كورنثوس الأولى: ١٥ (٢٠ ـ ٢٣).
(٥) متى: (١٣ي/٣٩).
(٦) أعمال (٢٦/٢٣).
(٧) رجاء العالم: ص (٥٢).

بالقيامتين «الأولى . . والثانية» وكما أوضح بأن الفترة بين الواحدة والأخرى هي الف سنة.

تقع القيامة الأولى عند رجوع المسيح إلى هذا العالم ليأخذ شعبه إليه، وتقع القيامة الثانية في نهاية الألف سنة.

عند مجيء المسيح يكون الأموات من هابيل الصديق إلى نهاية العالم في القبور «فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (١) فلسوف يسمع جميع القديسين الراقدين ذلك الصوت المبارك في القيامة الأولى، أما الراقدون من الخطاة فسوف يسمعونه في القيامة الثانية» (٢) .

وندرس بإيجاز وقت وكيفية قيامة الأبرار «لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً» (٣) وهذا يشير بالطبع إلى القيامة الأولى وقد عبر عنها يسوع بقوله: «فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من اقصاء السموات إلى اقصائها» (٤) وينادي صوت الرب «استيقظي استيقظي . . انتفضي من التراب . . انحلي من ربط عنقك» (٥) وتدفع جيوش الملائكة كالنسور إلى قبور القديسين وإلى بيوتهم لتخطفهم لملاقاة الرب في الهواء .

يقول الرسول: «ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء» (٦) وعندئذٍ يأخذ المسيح جميع القديسين معه إلى السماء تحقيقاً لوعده «آتي أيضاً وآخذكم إليّ حتى حيث أكون أن تكونون أنتم أيضاً» (٧) .

---

(١) يوحنا: (٥/٢٨ - ٢٩).

(٢) رجاء العالم: (٥٤).

(٣) تسالونيكي الأولى: ٤ (١٦).

(٤) متى: (٢٤/٣١).

(٥) أشعيا: (٥٢/١)، (٢).

(٦) تسالونيكي الأولى: ٤/ (١٧).

(٧) يوحنا: (١٤/٣).

ونقرأ في رؤيا «ورأيت عروشاً فجلسوا عليها واعطوا حكماً . . فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة . . مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى، هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم بل سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه الف سنة» (١) .

وتتحقق أمنية المسيح الواردة في صلاته إلى الأب: «أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي» (٢) .

والأحداث التي تقع عند المجيء الثاني للمسيح هي قيام الأبرار من الموت، وتغير الأحياء والأبرار وهلاك الأحياء الأشرار (٣) .

وقالوا في قيامة الأشرار «أما بقية الأشرار فلم تعش حتى تتم الألف السنة هذه هي القيامة الأولى» (٤) .

إن اختطاف القديسين إلى السماء في بداية الالف السنة وموت الأشرار يخلف الأرض خربة خالية وهذا ما يكنى عنه بربط الشيطان إذ يمسي الشيطان في حكم المقيد لأن الأشرار جميعاً أموات طوال مدة الألف سنة وسيظل مقيداً على هذا النحو» حتى تتم الألف السنة وبعد ذلك لا بد أن يحل زماناً يسيراً» (٥) .

إن قيامة الأشرار تحله من ربطه «ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض، ياجوج وماجوج ليجمعهم للحرب عددهم مثل رمل البحر فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم، وطرح الموت الهاوية في بحيرة النار، هذا هو الموت الثاني وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طرح في بحيرة النار» (٦) .

ونتيجة لتلك القيامة سيكون مصيران للناس هما: السماء والجحيم . . أما

---

(١) رؤيا: (٢٠/٤ ـ ٦).
(٢) يوحنا: (١٧/٢٥).
(٣) رجاء العالم: ص (٥٥).
(٤) رؤيا: (٢٠/٥).
(٥) رؤيا: (٢٠/٢).
(٦) رؤيا: (٢٠/٨)، (٩)، (١٥).

صعود إلى السماء وسعادة أبدية أو هبوط إلى الجحيم وعذاب أبدي أليم [1].

مما تقدم يتبين أن عقيدة اليوم الآخر هي ركن من أركان النصرانية كما هي ركن من أركان الإسلام ويبدو أن الخلاف بينهما يتحدد فيما يلي:

(١) - إن الذين دونوا الأناجيل منحو سيدنا عيسى عليه السلام سلطة محاسبة الناس يوم القيامة بدلاً عن الله لأن الله بزعمهم لا يليق به أن يحاسب الناس.

(٢) - أن النصوص التي وردت في الأناجيل عن اليوم الآخر محدودة العدد وغير مفصلة بينما لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من التذكير باليوم الآخر والتعرض لمشاهده بتفصيل يرغب المؤمنين بالجنة ويرهب العاصين من عذاب النار.

(٣) - أن عقيدة اليوم الآخر لا تختلف عند الأنبياء جميعاً وهي عند النصارى قبل تحريف الأناجيل لا تختلف عما ورد في القرآن الكريم وسنةالرسول ﷺ حتى لكأنك تجد العديد من الآيات يشابه العديد من نصوص الكتاب المقدس. كما يتضح في الفصل المقبل ان شاء الله.

---

(١) رجاء العالم: ص (٥٧).

مقارنة بين نصوص العهد القديم والجديد
وبين آيات من القرآن الكريم في موضوع اليوم الآخر

إنه مما لا خلاف فيه أن الشرائع السماوية متآخية في أصولها العقائدية لذا فمن المنطقي أن نجد تشابها بين نصوصهاالصحيحة، ولكن الغريب كل الغرابة أن نجد تناقضاً بين أصولها الصحيحة وأن أية فروق بينها إنما مرده إلى الإهتمام بجانب دون آخر، أو نتيجة تعديل بعض الأحكام الفرعية بما يناسب العصر الذي وجدت فيه. ولما كانت رسالة الإسلام خاتمة الرسالات اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون شريعة الإسلام النسخة المعدِّلة للشرائع السابقة بحيث تصلح لكل زمان ومكان وتتسع لمتطلبات كل عصر ومصر وصدق الله إذ يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة - ٣).

ومن نعم الله تعالى أنه جل في علاه كف أيدي المحرفين والمزورين عن هذه الشريعة الكاملة، فقرر في محكم كتابه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر - ٩) فاصبح هذا الكتاب الدستور الخالد الذي نقل إلينا بأصح الطرق العلمية بحيث لا ترى فيه عوجاً ولا أمتا.

أقول ليس غريباً أن نجد تشابهاً واضحاً بين نصوص الكتب السماوية الصحيحة في موضوع اليوم الآخر وغيره، وهذا ما سنلاحظه من خلال هذا الإستعراض:

[١] - عدم شعور الموتى بالزمن:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟

يُؤْفَكُونَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الروم ٥٥ ـ ٥٦).

وورد في العهد القديم قول سليمان: «أما الموتى فلا يعلمون شيئاً»[1] (سفر الجامعة ٩/٥).

[٢] ـ الشهداء والأولياء في رياض الجنة كالأحياء يرون ما لا يراه العصاة والمذنبون.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران ـ ١٦٩).

ويسخر أيوب من الذين يطلبون النصر من الأموات فيقول: (ولبي حي) (سفر أيوب ـ ١٩/٢٥) ولسان حاله يقول: «أما أولياؤكم فهم أموات».

[٣] ـ أهوال يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (التكوير ١ ـ ٧) ويقول أيضاً: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الدخان ـ ١٠).

جاء في الإنجيل ما لفظه: «وأعطى عجائب في السماء والأرض دماً وناراً وأعمدة دخان» (سفر أعمال ٦ ـ ١٩) وجاء أيضاً: « وتتحول انهارها زفتاً وترابها كبريتاً وتصير أرضها زفتاً مشتعلاً ليلاً ونهاراً لا تنطفىء إلى الأبد يصعد دخانها» (سفر أشعيا ـ ٣٤/٩).

وجاء أيضاً: «صوت الرب يولد الأيل ويكشف الوعور» (سفر مزمور ـ ٢٩/٩).

[٤] ـ تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ويتجلى ربنا سبحانه:

قال تعالى: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (غافر ـ ١٦) . ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم ـ ٤٨).

وجاء في التوراة والأنجيل ما لفظه: «ويكون الرب ملكاً على الأرض في

ذلك اليوم»[1]. وجاء أيضاً: «لأني ها أناذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال، بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد في ما أنا خالق لأني ها أنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً» (أشعيا ـ ١٧/٦٥ ـ ١٨) .

[٥] ـ النفخ في الصور:

قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ (سورة يس ـ ٥١)

جاء في الانجيل: «لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء» (تسالونيكي الأولى/١٦ ـ ١٧).

وجاء أيضاً: «فإنه سيبوق فيقام الأموات» (كورنثوس الأولى/١٥ ـ ٥٣).

[٦] ـ البعث بعد الموت:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة البقرة ـ ٥٦)

وجاء في الإنجيل: «لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك لأن أحكامك قد أظهرت» رؤيا يوحنا اللاهوتي: (١٥/٤)

[٧] ـ عرض الأعمال ومحاسبة المحسنين بإحسانهم والمسيئين بإساءاتهم:

قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

يقول أيضاً: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (سورة الزلزلة ـ ٧/٨)

وجاء في العهد القديم والجديد ما لفظه: «لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي ان كان خيراً أو شراً» (سفر الجامعة ـ ١٢/١٤)

وجاء أيضاً: «وأنا أجازي أعمالهم وأفكارهم» (أشعيا: ٦٦/١٨)

وفي العهد الجديد «فاتى غضبك وزمان الأموات ليدانوا ولتعطي الأجرة لعبيدك الأنبياء والقديسيين والخائفين اسمك الكبار والصغار وليهلك الذين كانوا يهلكون الأرض» رؤيا يوحنا اللاهوتي: (١١/١٨)

وجاء أيضاً: «ولكن أقول لكم إن كلمة بطالة على كل خفي أن كان خيراً

أو شراً ستحاسبون عليها» (انجيل متى ـ ١ / ٣٦)

وجاء أيضاً: «ورأيت الأموات كباراً وصغاراً واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات وهو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم» (رؤيا يوحنا اللاهوت ـ ٢٠ / ١٢)

[٨] ـ تمني الكافرين الموت وطلبه:

قال تعالى يصف الكفار في جهنم: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ (سورة الزخرف ـ ٧٧)

وجاء في الإنجيل: «ويتمنون الموت فلا يجدونه ويرغبون أن يموتوا فيهرب الموت منهم» رؤيا يوحنا اللاهوتي: (٩/٦)

[٩] ـ شدة حر يوم القيامة ورجاء العصاة في جهنم بطلب الماء من أهل الجنة وزيادة عطشهم وشربهم من حميم وغساق والعياذ بالله:

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (الأعراف ـ ٥٠)

ويقول تعالى أيضاً: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ (الواقعة ٥٠ ـ ٥١).

وفي الإنجيل ما لفظه: «يا أبي إبراهيم ارحمني وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويبرد لساني لأني معذب في هذا اللهيب» إنجيل لوقا: (١٦ / ٢٤)

وجاء أيضاً ما لفظه: «فخبزه في امعائه يتحول مرارة اصلال في بطنه قد بلغ ثروة فيتقيأها، الله يطردها من بطنه، سم الأصلال يرضع يقتله لسان الأفعى لا يرى الجداول أنهار سواقي عسل ولبن تأكله النار لن تنفخ ترعى البقية في خيمته، السموات تعلن إثمه والأرض تنهض عليه هذا نصيب الإنسان الشرير من عند الله» أيوب: (٢٠ / ١٤ ـ ٣٩)

[١٠] ـ التعذيب بالنار للعصاة:

قال تعالى: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ (سورة النساء ـ ٥٦)

وجاء بالتوراة ما لفظه: «لأن الرب يعاقب بالنار» (أشعيا: ٦٦/١٦).

«لأن دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ» (أشعيا: ٦٦/٢٤).

[١١] - النور في وجوه المؤمنين ورؤية الله سبحانه في الجنة:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (سورة القيامة - ٢٣).

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (سورة المطففين: ٢٢ - ٢٤).

وجاء في العهد القديم ما لفظه: «لا تكون لك بعد الشمس نوراً في النهار ولا القمر ينير لك مضيئاً بل الرب يكون لك نوراً أبدياً والهك زينتك لا تغيب بعد شمسك وقمرك لا ينقص لأن الرب يكون لك نوراً أبدياً» (أشعيا: ٦٠/١٩ - ٢٠).

أما في العهد الجديد جاء ما لفظه «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (متى: ٥/٨ ص ٨).

[١٢] - وفي وصف الجنة:

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (سورة محمد: ١٥)

وجاء في الأنجيل: «وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس» (سفر التكوين: ٢/١٠)

وقال أيضاً ما لفظه: «إني أعطيكم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً» (أرميا: ١١/٥)

مما تقدم يتبين أن مشاهد يوم القيامة في القرآن هي نفسها التي في الأنجيل والتوراة قبل أن تعبث بها يد الكهان لأن الأنبياء جميعاً إنما يتلقون عن الله جل جلاله.

اليوم الآخر في الاسلام

تعاريف:

في تفسير الإمام الطبري لقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يقول: سميت آخرة لتأخرها عن الخلق وسميت دنيا لدنوها من الخلق. ويعرفها الفخر الرازي بقوله: يجوز أن يراد به الوقت المحدد الذي لا حد له. ويجوز أن يراد به الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة وما بعده فلا حد له ويعرفه الأمام البيجوري بأنه يوم القيامة وأوله من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى على الصحيح. ويقول رسول الله ﷺ: «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه. وإن لم ينج فما بعده أشد منه» (الإحياء - ٢/١٦).

لقد عرّف القرآن الكريم اليوم الآخر بعدة تعريفات: فهو **يوم القيامة**: «يوم يقوم الناس من مرقدهم لله رب العالمين. وهو **يوم الحساب**: فيه يحاسب كل أمرىء عما قدم في هذه الحياة الدنيا. وهو **الساعة**: وقت القيامة، أهم ساعة في الحياة الدنيا والآخرة. وهو **القارعة**: القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها وهو **الغاشية**: التي تغشي الناس برهبتها وهو **الحاقة**: لتحقق وقوعها ولأنها حق، وهو **الواقعة**: التي لا بد من وقوعها وهو **الصاخة**: التي تصخ الأذان حتى لتكاد تصمها من شدة وقعها وهو **الطامة الكبرى**: أي الداهية العظمى التي تعم بأهوالها كل شيء وهو **الآزفة**: الكاسحة الجارفة».

إن قضية الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والعذاب من قضايا العقيدة الاسلامية الأساسية، بعد الإيمان بوحدانية الله تعالى والتي لا يقوم هذا الدين إلا عليها ولا يكمل الإيمان إلا بها، ذلك لأن الإيمان بالله تعالى يعرفنا بمصدر هذا الكون وخلقه والإيمان باليوم الآخر يعرفنا بمصيره ونهايته، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة - ٢٨١).

لقد عنى القرآن بمشاهد القيامة، البعث والحساب، والنعيم والعذاب، فلم يعد ذلك العالم الآخر الذي وعده الناس بعد هذا العالم الحاضر موصوفاً فحسب، بل عاد مصوراً محسوساً وحياً متحركاً وبارزاً شاخصاً، وعاش المسلمون مع هذا العالم (الآخر) عيشة كاملة في شعورهم ووجدانهم، رأوا مشاهده وتأثروا بها وخفقت قلوبهم تارة واقشعرت جلودهم تارة، وسرى في نفوسهم الفزع مرة وعاودهم الأطمئنان أخرى ولفحهم من النار شواظ، ورف إليهم من الجنة نسيم ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود (مشاهد القيامة - ٣٧).

لقد قرأ عتبة الغلام أحد الصالحين الآية الكريمة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ (الحاقة: ٣٠ - ٣٢) فتفاعل مع هذه الآية فاشترى سلسلة طولها سبعون ذراعاً ووضعها في وسط منزله لكي تذكره إن غفل وترشده إن انحرف ولكي تكون له حجاباً من النار إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الفصل الأول

ـ اشراط الساعة ـ

إن لكل كائن حي علامات تظهر له عند دنو أجله وقرب ساعة هلاكه فالإنسان يشيب ويهرم ويمرض ويضعف ويكون ذلك علامة دنو أجله وقرب ساعة موته، والحيوان في غالب أحواله كالإنسان يعتريه الهرم والضعف وينال المرض فتخور قواه وتنحل بنيته ويهلك، والنبات والزرع كذلك: يصفر وييبس ثم يذوي ويسقط ويبيد.

وكذلك أجزاء الكون يسبق هلاكها وفناءها علامات تؤذن بقرب ذلك.

وقد جاء الوحي الالهي بذكر تلك العلامات وبيانها، ونبهت الرسل عليها ولفتت النظر إليها تحذيراً وتعليماً. ففي القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ (محمد ـ ١٨).

وقد قسم العلماء أشراط الساعة إلى قسمين علامات صغرى محتملة الوقوع تحدث قبل يوم القيامة على فترات متباعدة. وعلامات كبرى خارقة للعادة تظهر قبيل يوم القيامة.

[أ] - العلامات الصغرى

(١) - بعثة رسول الله ﷺ: يقول رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها. أخرجه البخاري في صحيحه وفي رواية: «بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى» أخرجه البخاري ومسلم ذلك لأنه لا بد قبل الحساب من التبليغ والبيان وهذا ما يقتضيه عدل الله تعالى القائل: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الإسراء: ١٥) فمتى حصل التبليغ اقترب الحساب.

(٢) - وفاته ﷺ وفتح بيت المقدس وكثرة المال: عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال أتيت النبي في غزوة تبوك في قبة من ادم «جلد» فقال: «أعدد ستاً بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان فيكم كقعاص - الغنم(دود صغير يظهر في رؤوس الغنم يهلكها) -ثم استفاضة المال (كثرته) حتى يعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر. (الروم أي الأوروبيون) فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية (شعار وراية) تحت كل غاية اثنا عشر الفاً» أخرجه البخاري.

(٣) - خروج النار من الحجاز: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى (الشام)» أخرجه البخاري ومسلم (فإذا كان البترول مصدر النار فقد تحققت هذه العلامة). قال ابن حجر قال القرطبي: خرجت نار بالحجاز بالمدينة وكان بدؤها زلزلة عظيمة ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة عام ستماية واربع وخمسين واستمرت إلى ضحى الجمعة.

(٤) - التطاول في البنيان: عن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد. فجلس إلى رسول الله ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه ثم قال يا رسول الله أخبرني عن الإسلام. فقال ﷺ: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. فقال صدقت قال عمر

فعجبنا له يسأله ويصدقه. ثم قال: ما الإيمان، قال ﷺ: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله. ثم قال أخبرني عن الإحسان، قال ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال فاخبرني عن الساعة قال ﷺ: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال فأخبرني عن أماراتها، قال ﷺ: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» رواه مسلم.

(٥) - **التباهي بتزيين المساجد**: إذ الجدير بالمسلمين أن يعمروها بالصلاة والذكر والتلاوة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» رواه أحمد ذلك لأن الزينة من مظاهر البطر والكبرياء والله لا يحب المتكبرين والزينة تشغل المصلين عن الخشوع وهي من الترف المذموم.

(٦) - **التفريط بالأمانة**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» رواه البخاري ومسلم.

(٧) - **كثرة الفتن**: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان من المسلمين فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة». أخرجه البخاري ومسلم.

(٨) - **انحسار الفرات عن جبل من ذهب**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه الناس فيقتل من كل منهم تسع وتسعون فيقول كل رجل منهم لعلّي أن أكون أنا الذي أنجو» رواه البخاري ومسلم. وفي رواية «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضر فلا يأخذ منه شيئاً» حديث حسن صحيح. من المعروف أن البترول هو الذهب الأسود وقد ظهر في العراق بلد الفرات.

(٩) - **كثرة الفساد**: عن أنس رضي الله عنه قال: عند قرب وفاته إلا أحدثكم

حديثاً عن رسول الله ﷺ لم يحدثكم بعد أحد عنه بعدي. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة أو قال: إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشوا الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد» أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف قالت قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم: إذا ظهر الخَبَث» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن رواه مسلم وفي رواية: قال رجل من المسلمين يا رسول الله متى ذلك قال ﷺ: «إذا ظهرت القينات (المغنيات) والمعازف وشربت الخمور» وفي الحديث «يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يبالهم الله باله» أخرجه البخاري، وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله» وفي رواية «حتى لا يقال في الأرض الله الله» وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» أخرجه مسلم.

(١٠) - لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلوهم فيختبىء اليهودي خلف الشجر والحجر فينادي الشجر يا مسلم يا عبد الله ورائي يهودي تعال فأقتله إلا شجر الفرقد فإنه ينسب لليهود» أخرجه مسلم في صحيحه. وكأن اليهودي يصبح في حالة من الذعر بحيث يخرج من وراء شجر الغرقد ويستسلم للمجاهدين المسلمين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصرالله.

[ب] - العلامات الكبرى

وهي الأحداث الخارقة للعادة المتوقع حصولها قبيل اليوم الآخر قريباً جداً من يوم القيامة وهي مجموعة في حديث حذيفة الغفاري رضي الله عنه قال: طلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر فقال: ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال ﷺ: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر: الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف في المشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى المحشر» أخرجه مسلم ولنتحدث في أهم هذه الأشراط.

(١) - **الدخان**: والدخان هو الغبار الذي يتصاعد من الأرض نتيجة الجفاف وقيل هو ما يتصاعد عند ايقاد الحطب قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (الدخان ١٠ - ١٦) قال سيدقطب قال بعض المفسرين لم يمض الدخان بعد بل هو من أمارات الساعة في اليوم الآخر(الظلال - ١٣٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أوخاصة أحدكم أو أمر العامة» أخرجه مسلم. ويعني بادروا بالأعمال الصالحة والتوبة قبل أن تفاجئكم نذر القيامة التي ذكرها الحديث فعندها لا تفيد التوبة (التحرير والتنوير - ٢٨٦/ج - ٣).

وفي حديث مسلم عن حذيفة بن سعيد رضي الله عنه قال طلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون قلنا نذاكر الساعة قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف في المشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم» وفي رواية وريح تلقى الناس في البحر قال ابن جرير حدثني محمد بن عوف عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم

انذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة الدجال» رواه الطبراني قال ابن كثير في التفسير وهذا اسناده جيد.

(٢) ـ خروج الدابة: يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (النمل ـ ٨٢) ـ حين ينتهي الأجل ويصر الناس على المعصية عندها يخرج الله لهم دابة من الأرض وليست بالتوالد تكلمهم وليس من عادة الدواب الكلام ولكنها أمر خارق للعادة ينذر العصاة بقرب قيام الساعة حيث لا تفيد التوبة. عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً» أخرجه مسلم وكأن الله يريد أن يرد على مكابرتهم فيريهم الآيات ثم يميتهم على ما هم عليه جزاء مكابرتهم قال الألوسي في تفسيره (٢٠ ج ـ ص ٢١) والحق أنها تخرج وفي الناس مؤمن وكافر وقال ابن كثير تخرج عند فساد الناس يخرج لهم دابة من الأرض قيل من مكة وقيل من غيرها قال عطاء تكلمهم فتقول لهم (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى بن عمران عليهما السلام فتجلوا وجه المؤمن ـ أي تنوره وتبيضه ـ بالعصا وتخطم أنف الكافر ـ أي تسمه فتجعل عليه علامة بالخاتم ـ حتى أن أهل الحِواء (أي الحي الواحد) ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن ويقول هذا: يا كافر» يعرفه من العلامة. قال الألوسي وهذا الخبر أقرب الأخبار المذكورة في الدابة للقبول» أخرجه أبو داود أيضاً في مسنده وأحمد والترمذي وحسنه وابن ماجة واللفظ له.

(٣) ـ طلوع الشمس من مغربها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين حين لا ينفع نفساً ايمانها إن لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» أخرجه البخاري ومسلم وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله فتح باباً قبل المغرب عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه» أخرجه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجة وفي ذلك إشارة إلى أن التوبة لا تقبل بعد طلوع الشمس من المغرب لأنها نذير بقرب الساعة. عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال «دخلت المسجد حين غابت الشمس والنبي ﷺ جالس فقال يا أبا ذر أين تذهب هذه (الشمس) قال قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها اطلعي من حيث شئت فتطلع من مغربها قال ثم قرأ (وذلك مستقر لها) وذلك في قراءة ابن مسعود» أخرجه الترمذي حديث صحيح. روى ابن ماجة عن صفوان ابن عسال قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من قبل مغرب الشمس باباً مفتوحاً عرضه سبعون سنة فلا يزال ذلك الباب مفتوحاً للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه فإذا طلعت لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً».

(٤) - خروج يأجوج ومأجوج: قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء ٩٦ - ٩٧) - ينسلون أي يسرعون بالمشي إلى الفساد قيل الراجح أن يأجوج ومأجوج من ولد يافث بن نوح عن أم المؤمنين زينب أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها. قالت زينب فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ (الكهف: ٩٤ - ٩٥) أما مكانه فهو سد الصين العظيم قرب بلدة ترمذ التي ينسب إليها الإمام الترمذي. يقول سيد قطب كشف هذا السد العالم الالماني سيلد برجر وسجله في كتابه في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي وذكره المؤرخ الأسباني «كلا فيجو» في رحلته عام (١٤٠٣) قال إن سد باب الحديد على طريق سمرقند الهند قد يكون هو السد الذي بناه ذو القرنين

ويغلب الظن أنهم سكان الصين لقربهم من السد ولكثرة عددهم فلقد أقام ذو القرنين الملك الصالح سداً ليحمي الشعوب المجاورة من تعدياتهم يقول أبو الكلام آزاد في تحقيقه عن يأجوج ومأجوج والسد الذي بناه ذو القرنين ليمنع اجتياحهم ما يلي: توجد في البقعة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود سلسلة جبال القوقاز كأنها جدار طبيعي وقد سد هذا الجدار الجبلي الطرق الموصلة إلى الشمال والجنوب إلا طريقاً واحداً بقي مفتوحاً في وسط السلسلة يسمى في أيامنا هذه مضيق دانيال ويشار إلى موضعه في الأطالس الحاضرة بين ولادي كيوكز وطفليس حيث يوجد إلى الآن جدار حديدي من قديم الأزمان ولا ريب أن هذا هو الجدار الذي بناه غورش (ملك اليونان الذي وحد مادا وفارس) وهو ذو القرنين الذي أشار إليه سفر دانيال (١/٨) وسمى اليهود هذا الملك طورس ويسميه اليونان سائرس لقد بنى هذا الملك الصالح سداً منيعاً صب فيه الحديد والنحاس المصهور لكي لا يستطيع أقوام يأجوج ومأجوج خرقه فأمنت كافة الشعوب الآسيوية هجمات الغزاة من شعوب شرقي وأواسط آسيا. وتؤكد الدراسات أن أحد أنهار هذه المنطقة سميت باسم ذلك القائد سائرس الذي وصل إليها. مما تقدم يتبين أن القرآن الكريم أسبق من أرخ لهذه الحادثة ثم صدقته اكتشافات المؤرخين.
لقد اشارت الأحاديث إلى أن ظهور يأجوج ومأجوج وإجتياحهم بلاد الإسلام سيكون قبيل قيام الساعة ويعتبر من اماراتها، مما يدل على أنه الأجتياح الثاني لبلاد المسلمين ويرى سيد قطب أن خروج يأجوج ومأجوج قد تم بخروجهم لغزو الممالك الاسلامية في أوائل القرن السابع للهجرة وأن خروجهم هذا من علامات الساعة الكبرى وقد يكون هذا تعبير لرؤيا رسول الله ﷺ التي حدث بها السيدة زينب في الحديث السابق (ويل للعرب من شر قد اقترب). ويقول محمد سلامة جبر: بل اليقين الذي لا شك فيه أن خروج يأجوج ومأجوج الذي ورد في القرآن على أنه من علامات الساعة وجاء في الأحاديث الصحيحة كحديث حذيفة السابق وفيه «لن تقوم الساعة حتى ترو قبلها عشر آيات» هذا الخروج لم يقع بعد لأن من أبرز علامات هذا الخروج معاصرته لزمن نزول عيسى عليه السلام ويهلكهم الله عز وجل ببركة دعاء سيدنا عيسى وأصحابه فيرسل عليهم دوداً في رقابهم فيموتون جميعاً كنفس واحدة. بهذا جاءت الأحاديث الصحيحة المقطوع بصحتها والحمد لله.

لـذلك فـإن احتمال كـون الغزو المغـولي هو الخـروج الكبيـر غيـر وارد البتـة وإنما هو خروج جزئي تنبأ به رسول الله ﷺ بقوله: «ويل للعرب من شر قد اقترب». ويـأجوج ومـأجوج اسم لقبيـل من الشعوب وأمـة من الأمم يسكنـون أقصى الشـرق قال الحافظ ابن كثيـر في تفسيره سـورة الكهف هم من سلالـة آدم عليه السـلام كما ثبت في الصحيحين «إن الله يقول يوم القيامة: يـا آدم فيقول لبيـك وسعديـك فيقول أبعث بعث النـار أي ميز أهـل النار من غيـرهم فيقول ومـا بعث النار «مـا مقدارهم» فيقـول من كل الف تسعمـاية وتسعـة وتسعون إلى النـار وواحـد إلى الجنـة فحينئذٍ يشيب الصغيـر وتضع كـل ذات حمل حملهـا فقال: «أي رسـول الله» إن فيكم امتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجـوج ومأجـوج» قال الحـافظ ابن كثير: ومـا يذكـر في الأثر من وهب بن منبه في اشكالهم وصفاتهم وطولهم فقيه غرابة ونكارة.

وقد اتفقت كلمة نصوص والحديث على ما يلي:

(١) ـ كثرة أفراد يأجوج ومأجوج.

(٢) ـ شدة إفسادهم كما هو صريح القرآن (إن يأجـوج ومأجـوج مفسدون في الأرض).

(٣) ـ يخرجون على الناس قبل يـوم القيامـة وبعد الـدجال الـذي يقضي عليه سيدنا عيسى عليه السلام.

والـدليـل على خـروجهم قبـل يـوم القيـامـة قـولـه تعـالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ (الأنبياء ٩٦ ـ ٩٧).

(٥) ـ **ظهـور الـدجـال:** ظهـر في التـاريـخ دجـالـون كثيـرون ضللوا النـاس بدعاويهم الكاذبة فـزينوا لهم القبيـح حسناً والحسن قبيحـاً والخير شـراً والشر خيـراً بمـا أوتوا من امكـانات وطـاقات واسـاليب ماكـرة. ولكن المقصـود بـالـدجـال هنـا الدجال الـذي سيظهـر قبيل قيـام الساعـة يدَّعي الألـوهية وتـظهر على يـده الخوارق فيفتتن النـاس به فيتبعـه الضالـون ويكفر بـه المؤمنون لأنهم يعتقـدون بـالله الكمـال وهو أعور فيـه نقص فلو كان إلاهـاً لأصلح عـورته. ولأنـه يقتل مخـالفه والله تعـالى نهى عن القتل بغير حق ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ

﴿ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة - ٣٢) ومن خطبة الرسول الكريم ﷺ في حجة الوداع: «ويحكم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه مسلم بذلك يعرفه المؤمنون وكأن الدجال حاكم ظالم في آخر الزمان يضيق الخناق على مخالفيه فيعيشون في جحيم ويشبعهم قتلاً وتعذيباً ويغدق على انصاره ومؤيديه فلكأنهم يعيشون في جنات النعيم فينزل سيدنا عيسى للقضاء عليه فيقتله في باب اللد ويريح الأمة من شروره.

-**بعض الآثار الواردة في وصفه**: عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا أن المسيح الدجال قصير افحج (بعيد بين الفخذين) جعد (الشعر) أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور» أخرجه أبو داود واسناده حسن قال ابن حجر في الفتح: وقع في حديث جابر «يسيح في الأرض أربعين يوماً، يرد كل بلدة غير هاتين البلدتين مكة والمدينة حرمهما الله تعالى عليه. يوم من أيامه كالسنة ويوم كالشهر ويوم كالجمعة وبقية أيامه كأيامكم هذه» أخرجه الطبراني وهو عند أحمد بنحوه بسند جيد ولفظه: «تطوى له الأرض في أربعين يوماً إلا ما كان من طيبه» يعني المدينة ووقع في حديث سمرة يظهر على الأرض كلها إلا الحرمين وبيت المقدس كذا في رواية أحمد في مسنده (١٦/٥) وقد حمل بعض العلماء قول الرسول الكريم ﷺ يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة على شدة ما يعاني الناس من ضيق وعذاب. عن أبي الزبير سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: أخبرتني أم شريك أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليفرن الناس من الدجال في الجبال» قالت: يا رسول الله فأين العرب يومئذ، قال ﷺ: «هم قليل» رواه مسلم في باب الفتن ففي الحديث الشريف: «من سمع بالدجال فلينأ منه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات» رواه أبو داود بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ من أربع: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال» أخرجه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه: إنه أعور وأنه يجيء بمثال الجنة والنار فالتي يقول أنها الجنة هي النار وإني أنذركم به كما أنذر به نوح قومه» متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال

رسـول الله ﷺ: «على انقاب (طـريق) المدينـة مـلائكـة لا يـدخلهـا الـطاعـون ولا الـدجال» أخـرجـه البخـاري. عن أنس رضي الله عنـه قـال رسـول الله ﷺ: «يتبـع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفـاً عليهم الطيالسة» أخـرجه مسلم وعن مجمـع بن جارية رضي الله عنه قال: «سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «يقتـل ابن مريم الـدجال بباب لد» رواه الترمذي وقال حديث صحيح.

عن أبي سعيـد الخـدري رضي الله عنـه قـال حـدثنـا رسـول الله ﷺ حـديثـاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا بـه أن قال: «يـأتي الدجـال وهو محرّم عليه أن يـدخل نقـاب المدينـة فينتهي إلى بعض السباخ التي بـالمدينـة فيخرج إليـه يـومئـذٍ رجـل هو خيـر الناس أو من خيـر الناس فيقـول: أشهد أنـك الدجـال الذي حـدثنـا عنـك رسول الله ﷺ حـديثه فيقـول الـدجـال: أرأيتم إن قتلت هـذا ثم أحييتـه هـل تشكـون في الأمر فيقـولون لا. فيقتله ثم يحييـه فيقول حين يحييـه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم فيقول الدجال أقتله ولا يسلط عليه» أخرجه البخاري.

ـ **قال المحاربي**: ثم رجعنـا إلى أبي رافع قـال«وإن من فتنته أن يـأمر السمـاء أن تمـطر فتمطر ويـأمـر الأرض أن تنبت فتنبت وإن من فتنتـه أن يمـر بالحي فيكذبونه فـلا تبقى لهم سـانحـة إلا هلكت وأن من فتنتـه أن يمـر بـالحي فيصـدقـونـه فـيـأمـر السمـاء أن تمـطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك اسمى ما كانت واعظمه واحده خواطـر وارده ضروعـا وأنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من نقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلته حتى ينزل عند الظريب الأحمر (الجبل الصغير) عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فتنقى الخبث منها كما ينقى الكيس الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص».

ـ **قال حذيفه**: إن الدجال لو خرج في زمانكم لرمته الصبيـان بالخـذف ولكنه يخرج في نقص من الناس وخفـه من الدين وسـوء ذات بين فيرد كـل منهل وتـطوى له الأرض طي فروة الكبش حتى يـأتي المدينـة فيغلب على خارجهـا ويمنع داخلهـا ثم جبل ايلياء فيحـاصر عصـابة من المسلمين فيقـول لهم الذي عليهم مـا تنتظرون بهـذا الطاغيـة أن تقاتلوه حتى تلحقـوا بـالله أو يفتـح لكم فيأمرون أن يقـاتلون اذا اصبحـوا فيصبحون ومعهم عيسى بن مـريم فيقتل الـدجال ويهـزم اصحابـه حتى أن الشجر والحجر والمدر يقول يامؤمن هـذا يهودي عنـدي فاقتله قـال: وفيه ثـلاث

علامات: هو أعور وربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن أمي وكاتب ولا يسخر له من المطايا إلا الحمار فهو رجى على رجى.

- **ثم قال**: «أنا بغير الدجال أخوف علي وعليكم فقلنا ما هو قال: فتن كأنها قطع الليل المظلم قال فقلنا أي الناس فيها شر؟ فقال: كل خطيب مصقع وكل راكب موضع قال فقلنا أي الناس فيها خير؟ قال: كل غني خفى قال: فقلت ما أنا بالغني ولا بالخفي قال: فكن كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب» رواه الحاكم وقال هذا الحديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي...

(٦) - **ظهور المهدي**: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه أسم أبي، يملاء الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» رواه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح - وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً» أخرجه أبو داود إسناده حسن - عن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» أخرجه أبو داود واسناده حسن - عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي مني أجلى الجبهة (واسع الجبين) أقنى الأنف يملاء الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ويملك سبع سنين» أخرجه أبو داود وإسناده حسن، يقول الشيخ أحمد عز الدين البيانوني لقد أخطأ من ضعف أحاديث المهدي كلها أما ما روى من حديث «لا مهدي إلا عيسى بن مريم» فضعيف كما قال البيهقي والحاكم روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطى المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعاً وثمانياً» يعني حججا صححه الحاكم والذهبي روى الإمام مسلم عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان يحثوا مال ولا يعده» «وفي رواية يعطى الناس بغير عدد» ذكر الشوكاني في كتابه التوضيح ما يلي: (الأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن

والضعيف والمنجبر وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الإصطلاحات المحررة في الاصول وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك.

يقول الشيخ سعيد حوى في كتابه الأساس في السنة ص (١٠١٤/٢) ما يلي: هتالك روايات تذكر أن المسيح ينزل وللمسلمين إمام في القدس فهل هذا الإمام هو المهدي؟ يرى البعض ذلك والأمر محتمل ولكن إذا كان المهدي هو الخليفة الذي يكون زمن المسيح عليه السلام فهل الخلافة الإسلامية لا توجد إلا به؟ الظاهر من النصوص التي تذكر فتح روما تشير إلى قيام دولة عالمية للإسلام بينما الخلافة التي تسبق نزول عيسى بن مريم لفتح القسطنطينية وتدخل في معركة لاهبة مع النصارى على الأرض الإسلامية ويكون فسطاط المسلمين يوم الملحمة في الغوطة قرب دمشق فإذا كان المهدي ليس في زمن عيسى بن مريم فيحتمل أن يكون أحد الخلفاء الذين يقودون الأمة الإسلامية الى النصر ومع إيماننا بظهور المهدي فلا يصح أن نعلق إقامة الفرائض المطلوبة شرعاً لحين ظهوره، ونعطل الأحكام ونقصر في الواجبات إنتظاراً لقدومه، إذ المطلوب من المسلم شرعاً أن يبذل الجهد ويقوم بالواجب وليس عليه إدراك النجاح فثواب الله منوط بالعمل وبذل الجهد، لا بالنتائج ويقول الشيخ سعيد في كتابه أيضاً: إن أهل التحقيق لا يختلفون في أن خليفة من أهل بيت النبوة يكون في آخر الزمان وهو الذي درج عليه التعبير على ألسنة العامة والخاصة بأنه المهدي ولكن القول بأن عيسى ينزل زمن المهدي فهذا المختلف فيه لعدم ثبوت الأدلة وعدم تحقيق الأحاديث الواردة في ذلك (الأساس في السنة ١٠٢٥/٢).

- ٧ - نزول عيسى بن مريم عليه السلام: يقول تعالى عن سيدنا عيسى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء ١٥٧ - ١٥٩) بعض المفسرين أعاد الضمير إلى سيدنا عيسى وبهذا يصبح المعنى أنه ما من أحد إلا يؤمن به قبل موته من بعد هبوطه من السماء أي قبيل الساعة ومنهم من أعاد الضمير إلى الكتابي

وبهذا يصبح المعنى: أن الكتابي وهو في سكرات الموت تظهر له حقيقة عيسى فيؤمن به حيث لا ينفعه الايمان. وأن نزول سيدنا عيسى عليه السلام دليل على اقتراب قيام الساعة لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾(الزخرف-٦١) وفي قراءة ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ وقد يظن البعض أن نزول عيسى في آخر الزمان إنما هو إحياء للنصرانية وإنه يخالف القول بأن رسالة الإسلام هي آخر الرسالات.

وهذا وهم ذلك لأن سيدنا عيسى يأتي مصدقاً لرسالة محمد فقد قال رسول الله ﷺ لعمر: «لو كان عيسى بن مريم بين أظهرنا لما وسعه إلا آتباعي» وفي الحديث يقول رسول الله ﷺ: «والله لينزلن ابن مريم حكما عدلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاصى (النوق) فلا يسعى إليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد» رواه البخاري ومسلم • وفي هذا الحديث دلالات واضحة أهمها:

(١)- نزول سيدنا عيسى بن مريم حكماً عدلاً يعني حاكماً بالإسلام العادل قال ابن حجر في فتح الباري (٦/٢٥٦) والمعنى أنه عليه السلام ينزل حاكماً بشريعة الإسلام فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ بل يكون عيسى بن مريم حاكماً من حكام هذه الأمة. وللطبراني من حديث عبد الله بن مغفل «ينزل عيسى بن مريم مصدقاً بمحمد على ملته».

(٢) - إن في كسر الصليب وقتل الخنزير لدليل على نسخ شريعة النصارى والأخذ بشريعة الاسلام قال الحافظ إبن حجر في تفسير الحديث: أي يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه ويأمر بإعدام الخنزير مبالغة في تحريمه وفيه توبيخ للنصارى الذين يدعون أنهم على طريقة عيسى عليه السلام ثم يستحلون أكل الخنزير ويبالغون في محبته» (فتح الباري ٤/٣٤٣).

(٣) كما وأن في وضع الجزية إشارة إلى إتباع أنصاره لشريعة الإسلام التي راح يدعو لها سيدنا عيسى عليه السلام فلم يعد حاجة لها بعد إسلامهم.

(٤) - روى أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم فيقول له أميرهم المهدى تعال صل بنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة» يستفاد من إمتناع سيدنا عيسى

عن أن يؤم المسلمين وتقديمه المهدي إماماً لدليل آخر على تأييده للإسلام وعلى أنه خاتم الرسالات إذ لو لم يكن سيدنا عيسى على دين الإسلام آنذاك لما دعاه المهدي لإمامة المسلمين في الصلاة. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وحتى تكون السجدة خير له من الدنيا وما فيها» أخرجه الشيخان قال ابن حجر قال ابن الجوزي وحين تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها، فإن ذلك يشير إلى صلاح الناس وشدة إيمانهم وإقبالهم على العبادة فهم يؤثرون الركعة الواحدة على جميع الدنيا، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم في آخرها والمهدي في وسطها» حديث حسن وكلمة الوسط يقصد بها قبل الآخر لأن نزول سيدنا عيسى يكون في آخر أيام المهدي فيقتل الدجال على باب اللد ويصلي خلف المهدي كما ورد في الأخبار فيعيش أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون وعن أبي داود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس بيني وبينه (عيسى بن مريم) نبي، وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع الحمرة والبياض ينزل بين محصرتين (ثوب معصفر) كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

علم الساعة

قال تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف - ١٨٧)

لقد آستأثر الله تعالى بعلم الساعة فلم يطلع على موعدها أحد. لأنها من خصائص الألوهية ورسولناﷺ بشر لا يدعي علم الغيب ولا يتجاوز حدود بشريته وبهذا تنبيه لاتباع هذا الدين كي لا يرفعوا الرسول البشر إلى مقام الألوهية ولا يمنحوه شيئاً من صلاحيات الألوهية لئلا يوقعهم هذا الخلط في الشرك كما أن من حكمة عدم معرفة موعدها: الإهتمام بخيرها والإستعداد لاستقبالها في أي وقت والأخذ بسببها قبل أن يأتي بغتة فيكون وقعها على الإنسان عظيماً ونتائجها أليمة. ولو كانت معلومة لاستعد الناس لها قبيل وقوعها فقط. أما وأنها مجهولة الموعد وأنها آتية لا ريب فلنستعد لها ولنعمل لنكون من الفائزين فيها بجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (طه - ١٥) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال حدثني أبي عمر رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام قال ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة

وتؤتي الـزكاة وتصـوم رمضان وتحـج البيت إن آستطعت إليـه سبيـلا قـال صـدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبـرني عن الإيمان قـال ﷺ: أن تؤمن بالله ومـلائكته وكتبـه ورسله واليـوم الآخـر وتؤمن بـالقـدر خيـره وشره، قـال صـدقت فـأخبـــرني عن الإحسـان، قال ﷺ : «أن تعبـد الله كـأنـك تـراه فـإن لم تكن تـراه فـإنـه يـراك قال فأخبرني عن الساعة، قـال ﷺ : مـا المسؤول عنهـا بـأعلم من السـائـل. قـال فـأخبرني عن عـلاماتهـا، قال ﷺ : أن تلد الأمـة ربتها وأن تـرى الحفاة العـراة رعاء الشاء يتطاولون في البيان، قـال ثم آنطلق فلبث مليـاً ثم قال لي يـا عمرأتـدري من السـائل قلت الله ورسـولـه أعلم، قـال: فـإنـه جبـريـل أتـاكـم يعلمكم دينكم» رواه البخاري ومسلم.

الفصل الثاني

الموت وحياة البرزخ

ـ **الموت**: هو مفارقة الروح للبدن. وهو نهاية الحياة الدنيا وبداية الإنتقال إلى الحياة البرزخية (عالم القبر) الذي يتوسط الحياة الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون ـ ١٠٠) يقول ابن القيم الجوزية في كتابه الروح (ص ـ ١٠٣) ما يلي: الموت بعث ومعاد أول. فإن الله جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزي بهما الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى فالبعث الأول هو مفارقة الروح البدن ومصيرها إلى دار الجزاء والبعث الثاني يوم الحشر يوم يقوم الناس لله رب العالمين.

الموت والحياة متناقضان تناقض النور والظلام ولذلك يعرفان في معاجم اللغة العربية كل واحد منها نقيض الآخر.

فالموت والموتان ضد الحياة وأصله في لغة العرب السكون وكل ما سكن فقد مات فنقول ماتت النار موتاً إذا برد رمادها فلم يبق من الجمر شيء. (عن لسان العرب ١/٧٧٤).

والموت أمر واجب التصديق لا حاجة للنص على وقوعه، فلا يشك فيه عاقل لكونه مشاهد كما أنه حتم لازم لا مناص منه لكل حي من المخلوقات.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (آل عمران ـ ١٨٥)، وقال أيضاً: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن ٢٦ ـ ٢٧) ولقد اختلف الفلاسفة في الموت:

هل هو وجودي أو عدمي؟

يرى صاحب شرح المقاصد في كتابه (ص ـ ٢/٣٠٨) أن الموت هو زوال الحياة عما يتصف بها بالفعل، كما في العمى الطارىء بعد البصر لا كمطلق العمى، ولا يلزم كون عدم الحياة لدى الجنين عدم استعداده للحياة فعلى هذا لا يكون الموت عدمياً.

وذهب الأشعري رحمه الله إلى أنه وجودي وعرفه بأنه: صفة وجودية تضاد الحياة فالتقابل بينهما هو تقابل التضاد.

ويستدل على كون الموت وجودياً بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ (الملك ـ ٢).

وذهب الأسفرايني والزمخشري إلى أن الموت عدمي. وعرفاه بأنه عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً، فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكة (الوجود) وبناء على هذا أولوا الخلق في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ أي قدَّر الموت والحياة.

الحياة البرزخية (الموت)

لقد سمىٰ العلماء النوم بالموت الأصغر لشبهه بالموت في سكون النائم عن الحركة وفقدات الإرادة خلاله. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ (الأنعام - ٦٠).

والموت سنة الكون وهو حتم حين إنتهاء الأجل. قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص - ٨٨). وقال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن - ٢٧).

والأجل محدود الزمن لا يملك إنسان تقديمه ولا تأخيره. قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ (آل عمران ١٤٥) وقال ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف - ٣٤) وفي ذلك دافع للقوة والشجاعة ما دام العمر بيد الله لا بيد بشر ودافع له كي يستزيد المسلم من فعل الخير قبل انتهاء الأجل على حين غرة فيقول: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ ﴾ (المؤمنون - ٩٩/١٠٠).

والموت مجهول الموعد لدى الناس قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان - ٣٤).

وفي ذلك دافع للإنسان كي يكون على إستعداد دائم لمفارقة هذه الحياة

وقد تزود منها عملاً صالحاً يفيده في الحياة الباقية ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يا أُوْلِى ٱلْأَلْبَابِ﴾ ودافع للاستمرار في الجد والعمل وفعل الخير إذ لو علم الإنسان موعد انتهاء أجله لقعد عن طلب الرزق والعمل والسعي ينتظر موعد مفارقته الحياة، فسبحان الحكيم الخبير. يقول عليه الصلاة والسلام «كفىٰ بالموت واعظاً». إنه يذكر الأحياء فينبههم من غفلتهم ويدفعهم إلى الإهتمام بالآخرة والتزود لها والإعتدال في الإقبال على الدنيا الفانية: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٥ - ٢٨)

وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد يوماً أن ترد الودائع

الاحتضار وسكرات الموت

حين ينتهي الأجل يكون المحتضر في حالة الأسى والحسرة على فراق الأهل والأحباب والمال والولد وفي خوف من المجهول ورهبة من يوم الحساب، هذه المعاناة ثقيلة على النفس البشرية خاصة في فترات الضعف وقد سماها رسول الله ﷺ بسكرات الموت وقد عانى منها ﷺ كذلك في مرض الموت فكان يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات» أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق - ١٩). وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها تصف حالته حين إحتضاره: «ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله ﷺ» أخرجه البخاري ومسلم.

يلاحظ أن سكرات الموت على الصالحين أخف منها على العاصين المقصرين لأن الصلاح يبعث في نفس صاحبه الثقة بمغفرة الله ومثوبته مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ (فصلت - ٣٠).

قال بعض ائمة التفسير كمجاهد والسدي: إنما يكون ذلك حالة الإحتضار ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: إن الكافر إذا احتضر بشّرته الملائكة بالعذاب والنكال والسلاسل والجحيم وغضب الرحمن الرحيم

فتتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم. (تفسير ابن كثير - ج ٢ - ص ١٠).

ويصف القرآن الكريم حالة هؤلاء في الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال ٥٠ - ٥١).

حين الإحتضار تقف ملائكة الموت أمام المحتضر الصالح بصورة حسنة وأمام المحتضر العاصي بصورة مخيفة قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام - ٦١)، ويصف ذلك المشهد حديث رسول الله ﷺ عن البراء بن عازب أن رسول الله قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية: المطمئنة) أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء فيأخذها وإن العبد الكافر (وفي رواية الفاجر) إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا نزل إليه من السماء ملائكة (غلاظ شداد) سود الوجوه معهم المسوح [من النار] فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السُّفُّود [الكثير الشعب] من الصوف المبلول [فتقطع معها العروق والأعصاب].

- وما يحدث للميت حال موته لا نشاهده ولا نراه وإن كنا نرى آثاره وقد حدثنا ربنا تبارك وتعالى عن حال المحتضر فقال: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾ (الواقعة ٨٣ - ٨٥) والمتحدث عنه في الآية الروح عندما تبلغ الحلقوم في حال الأحتضار ومن حوله ينظرون إلى ما يعانيه من سكرات الموت وإن كانوا لا يرون ملائكة الرحمن التي تسل روحه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ (الواقعة ٨٥) فإذا نزعت الروح من الأنسان تبعها البصر ينظر إليها فيغمضهما له ذووه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله

ﷺ: «ألم تروا إلى الإنسان إذا مات شخص بصره قالوا بلى قال فذلك حين يتبع بصره نَفَسَه» أخرجه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «إذا حُضِرَ المؤمن أتت ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء: فيقولون: أخرجي راضية مرضيّاً عنك إلى روح من الله وريحان، ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به أبواب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في عم الدنيا، فإذا قال: قد مات أما أتاكم؟ قالوا ذهب به إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا حُضِر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون أخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله عز وجل فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتونِ به باب الأرض فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار».

إن مذهب سلف الأمة وائمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل أحياناً ويحصل لها معها النعيم أو العذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لله رب العالمين. «عن كتاب الروح لابن القيم ص - ٨٧».

واجبنا تجاه المحتضر

لذا أرشدنا رسول الله ﷺ أن نخفف عن الميت حزنه بأن نقرأ أمامه سورة يس وأن نتلفظ بالشهادتين. أخرج مسلم عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» قال ابن حبان وغيره أراد بموتاكم من حضره الموت. وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان عن معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال: «أقرؤوا عن موتاكم يس» قال ابن حبان من حضرته المنية لأن الميت لايقرأ عليه. وفي رواية عن جابر بن زيد قال: يستحب أن يقرأ عنده سورة الرعد وفي روايته عن الشعبي قال: كان الأنصار يقرأون عند الميت سورة البقرة. عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله

لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» قالت عائشة: إنا لنكره الموت. قال: «ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه وأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حُضر بُشّر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه وكره لقاء الله وكره الله لقاءه» (أخرجه الشيخان).

سؤال القبر

أخرج أحمد وابن أبي شيبة في المصنف والطيالسي وعبد الله في مسنديهما وهناد بن السري في «الزهد» وأبو داود في سننه والحاكم في «المستدرك» وابن جرير وابن أبي حاتم، والبيهقي في كتاب «عذاب القبر» وغيرهم من طرق صحيحة عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يُلْحَدْ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عودٌ ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: « استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس المطمئنة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء وإن كنتم ترون غير ذلك فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيّب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن اسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في علّيين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى؛ فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام،

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادي منادٍ من السماء: أَنْ صَدَقَ عبدي، فافرشوا له من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة. فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الرائحة، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت، فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال: وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجود، معهم المسوح، فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتتفرق في جسده، فينتزعها كما يُنتزع السَّفُّود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وُجِدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح فلا يفتح له؛ ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾(الأعراف - ٣٩)، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سِجِّين(١)، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً؛ ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(الحج - ٣١) فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له : ما دينك فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء: أن كذب عبدي فأفرشوا له من النار والبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، نتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول:

(١) «سجِّين»: كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثقلين.

من أنت، فوجهك الذي يجيء بالشر؟ فيقول أنا عملك الخبيث فيقول: ربِّ لا تقصر الساعة» رواه أحمد وابن أبي شيبة والطيالسي وأبوا داود والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

أخرج سعيد بن منصور عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ هي الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ هي الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الأظافر والجلد حتى تخرجها ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾ هي الملائكة تسبح بأرواح المسلمين بين السماء والأرض ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾ (النازعات ـ ٤) هي الملائكة تسبق بعضها بعضاً بأرواح المؤمنين إلى الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافر ـ ١١).

يذكر شارح المواقف (ص ٤٥٣ ـ ج ٢) أن المراد بالإماتتين والإحيائين في الآية: الإماتة قبل مزار (نزول) القبور ثم الاحياء في القبر ثم الاماتة فيه بعد مساءلة منكر ونكير ثم الإحياء للحشر. وهذا هو الشائع المستفيض بين أصحاب التفسير. ويرى الإمام الرازي في تفسير للآية أن الموتى اثبتوا لأنفسهم موتتين فأحدهما مشاهدة في الدنيا فلا بد من اثبات حياة أخرى في القبر حيث يصير الموت الذي يحصل بعدها موتاً ثانياً وذلك يدل على حصول حياة القبر.

يقول ابن قيم الجوزية: أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير متواترة (الروح ـ ١٢٧) ويقول صاحب المواقف: الأحاديث الصحيحة الدالة على عذاب القبر أكثر من أن تحصى بحيث تواتر القدر المشترك وأن كل واحد منها من قبيل الآحاد (شرح المواقف ـ ٢/٤٥٢).

عذاب القبر

ـ الأدلة القرآنية على ثبوت عذاب القبر:

منها قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ (غافر ـ ٤٥) ووجه الدلالة أنه لما عطف قوله (ويوم تقوم الساعة) على (غدواً وعشياً) علمنا يقيناً أن النار

التي يعرضون عليها غدواً وعشياً غير التي يعرضون عليها يوم تقوم الساعة يوم القيامة. ولا شك أنه واقع بين الموت والنشور. كما أن معنى عرضهم على النار يعني إحراقهم بها، يقال: عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم به. وفي ذلك إشارة إلى العذاب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ (الأنفال - ٥٠) ففي تفسير التحرير والتنوير (ص - ٨/٣٧٩) قوله: والتعريف في (اليوم) مستعمل وقت قبض الأرواح. وفي الأساس في التفسير (ص - ١٧١٣) قوله: المراد باليوم وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع والهوان الشديد. وفي مختصر تفسير المنار (ص - ٢/٥٠٨) قوله: وحاصل المعنى: ولو ترى أيها المخاطب بهذا ما يحل بالظالمين عند الموت ويوم البعث والجزاء مما ذكر، لرأيت أمراً عظيماً وعذاباً أليماً.

في تفسير المنتخب (ص - ٣٢٥١ يقول: ولو ترى أيها الرسول ذلك الهول الخطير الذي ينزل بهؤلاء الكفار حين تتوفاهم الملائكة فينزعون أرواحهم وهم يضربونهم من أمام ومن خلف ويقولون لهم ذوقوا عذاب النار بسبب أفعالكم السيئة. انتهى. فاحتمال العذاب هنا وارد يوم القيامة كما هو وارد حين نزع الروح على رأي بعض المفسرين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام - ٩٣).

وفي الآية الكريمة: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية - ٢١) ويقول الحبنكه صاحب العقيدة الإسلامية (ص - ٦٤٣) ما يلي:

فهذه الآية تدل على نفي التسوية بين الفريقين المذكورين في الممات. وفترة الممات هي فترة البرزخ التي نحن بصددها وإذا لم يكن الفريقان مستويين في الممات فلا بد أن يكون مجترحوا السيئات معذبين. والذين آمنوا وعملوا الصالحات منعمين وهذا هو نعيم القبر وعذابه. وعن كيفية عذاب القبر ونعيمه

وكيفية عودة الروح يقول شارح العقيدة الطحاوية: لا يجوز الزيادة فيها كما صح عن رسول الله ﷺ ولا نتكلم في كيفيته لكونه لا عهد لنا به في هذه الدار ويقول ابن القيم: مذهب سلف الأمة وائمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العباد ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى (عن العقائد الاسلامية، سيد سابق ص ـ ٢٣٧).

ـ **ومن أدلة عذاب القبر في السنة**: ما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ صلى بالناس صلاة الكسوف مرة ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار وقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريباً من فتنة الدجال إلى آخر الحديث» ومن ذلك ما رواه الشيخان بسنده أن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل قال فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله قال فيقال له أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة: قال النبي ﷺ فيراهما جميعاً. وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري. كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ويُضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقيلين» متفق عليه.

عن البراء عازب أن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله جل جلاله «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة» رواه البخاري ومسلم.

وعن انس رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر بقبر في حائط لبني النجار فسمع صوتاً فقال من صاحب هذا القبر؟ قالوا انسان مات في الجاهلية فقال ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسومكم عذاب القبر» رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وعن ابن عباس وأبي بكر وجابر رضي الله عنهم أنه عليه السلام مر بقبرين فقال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة

وأما الآخر فكان لا يتنزه من البول وفي رواية (كان لا يستتر من بوله) ثم أخذ عوداً فشقه ونصبه عليهما وقال: «إنه يخفف عنهما ما لم ييبس» رواه البخاري ومسلم والترمذي وقال عليه السلام: «المؤمن في قبره روضة خضراء» رواه الترمذي وهو بالنسبة للكافر حفرة من حفر النار.

عن أبي عمرو وقيل عن أبي عبد الله وقيل عثمان بن عفان رضي الله عنهم قال كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل» رواه أبو داود. وسؤال العصاة فيه ما فيه من العذاب.

عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول: «اللهم إن فلاناً بن فلان في ذمتك وجعل جوارك فقهِ فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء والحمد، اللهم فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم» رواه أبو داود ومن دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم أني أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر».

يقول الدكتور سعيد رمضان البوطي في كبرى اليقينيات (ص ٣١٠) ما يلي:

وهنالك أحاديث كثيرة رويت بطرق مختلفة عن علي وزيد بن ثابت وابن عباس والبراء وأبي أيوب وأنس وجابر وعائشة وأبي سعيد كلها في سؤال القبر وفتنته فهذا هو دليل التواتر الذي لا يقبل الريب أو الإحتمال. ويعتقد جمهور أهل السنة والجماعة بأن العذاب يكون للروح والبدن معاً إذ هو من قبيل الممكن على الله ولأن ظاهر النصوص تقتضي ذلك ولا حاجة إلى التأويل فقد ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ وقف علي القليب الذي أُلقيت فيه جثث المشركين يوم بدر وأخذ يكلمهم قائلاً: «إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدكم ما وعدكم ربكم حقاً» ولولا علمه أن الأجداث بنفسها تسمع كلامه لما إتجه في خطابه لها ولما قال لعمر لما تعجب من مخاطبته لها: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». (عن كبرى اليقينيات ص ٣١٣).

يقول الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة. ولا يمتنع عقلاً أن يعيد الله الحياة في جزء من الجسد ويعذبه وإذا لم يمنعه العقل وورد به الشرع وجب قبوله واعتقاده. (شرح النووي على صحيح مسلم (ج ١٧/ ٢٠٠).

مقر الأرواح

قال الله تعالى عن الروح: ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود ـ ٦).

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ في أرواح الصالحين: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل» أخرجه مسلم.. وعن إبن عباس أن النبي ﷺ قال: «لما أصيب أصحابكم بأحد جعل الله في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش» رواه أحمد وأبو داود. وقال حديث حسن صحيح على شرط مسلم والبيهقي. وسُئل رسول الله ﷺ عن أرواح المؤمنين فقال: «في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت» قالوا يا رسول الله وأرواح الكفار, قال ﷺ: «محبوسة في سجين» أخرجه ابن منده، والطبراني وأبو الشيخ عن صخرة بن حبيب مرسلاً..

واجبنا تجاه الميت

(١) ـ يسن أن يوجه المتوفى إلى القبلة مضطجعاً على شقه الأيمن فقد روى أن البراء بن معرور أوصى بأن يوجه إلى القبلة عند موته فقال النبي ﷺ: «أصاب الفطرة» أخرجه الحاكم وقال حديث صحيح وأقره الذهبي.. وقد روي أن فاطمة رضي الله عنها استقبلت القبلة عند موتها ثم توسدت يمينها وهذا ما أمر به رسول الله ﷺ النائم وأمر أن تكون عليه حالة الميت في قبره.

(٢) ـ كما يسن تسجيته (تغطيته) وستر وجهه وإغماض عينيه. فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ حين توفى سجي ببرد حرة (مزينة) رواه البخاري ومسلم. وعن أم سلمة دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» كما أجازوا تقبيل الميت بالإجماع فقد ثبت أن رسول الله ﷺ قبل عثمان بن مظعون وهو ميت وأكبّ أبو بكر على رسول الله ﷺ بعد موته فقبله بين عينيه وقال: يا نبيّاه يا صفيّاه..

(٣) ـوجوب تغسيل الميت: يقول ابن حجر في الفتح: الجمهور على

وجوبه. عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنهـا قالت دخـل علينا رسـول الله ﷺ حين توفيت ابنته فقال: «أغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلـك بماء وسدر واجعلن في الآخرة كافوراً فإن فرغتن فآذنني» فلمـا فرغن آذناه (أخبـرناه) فـأعطانـا حقوه (ازاره) فقـال أشعرنها إيـاه» عن فتـح البـاري (ج ٣ـ ٩٩) أي كفنّها بـه أي الففتها بـه.. ويكفي الميت كفن واحد ولا بأس بثلاث. فقد روى البخـاري عن عائشـة رضي الله عنهـا أنَّ رسول الله ﷺ كفن في ثـلاثة أثـواب يمانيـة.

(٤) ـ يسن الإسراع في تجهيزه ودفنه رفقاً بأهله وذويه.. قال رسول الله ﷺ: «يا علي ثلاث لا تؤخرها الصلاة إذا أتت والجنازة إذا حضرت والأيّم إذا وجدت كفؤاً» اخرجه أحمد والترمذي وقال ﷺ: «لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله» رواه أبو داود عن الحصين بن دحوح رضي الله عنه.

(٥) ـ الإسراع بسداد ديونه إن أمكن.. عن أبي هـريرة رضي الله عنـه أن النبي ﷺ قـال: «نفس المؤمن معلقة بـدينه حتى يقضى عنـه» رواه أحمـدوالتـرمـذي وابن ماجة. ويقصد بذلك أن أمر الميت مـوقوف لا يحكم له بنجـاة أو هلاك حتى يسـدد دينـه أو أن روحه تحبس عن الجنـة حتى يسدد دينـه والغرض من ذلـك تبـرئـة ذمـة المتوفى وسداد دينه.

(٦) ـ ويسن تشييعـه إلى مثواه الأخيـر وحضـور دفنـه والصـلاة عليـه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط (من الأجر) ومن شهـدها حتى تـدفن فله قيراطـان قيل ومـا القيراطـان قال مثـل الجبلين العظيمين» متفق عليه.

(٧) ـ الـدعاء بعـد الإنتهاء من الـدفن وذلك حين بـدء سؤال الملكين له. عن أبي عمـر وقيل أبي عبـد الله وقيـل عن أبي ليلى عثمـان بن عفـان رضي الله عنهم قـال: «كان النبي ﷺ إذا فـرغ من دفن الميت وقف عليـه وقـال: «استغفـروا لأخيكم وسلوا لـه التثبيت (عند سؤال الملكين له) فإنـه الآن يسأل» رواه أبـو داود وسنده حسن وصححه ووافقه الذهبي.

وهو اليوم الذي يحيي الله فيه مخلوقاته. ثم يحشرهم ليحاسبهم عن أعمالهم في الحياة الدنيا فيجزي الذين أساءوا بماعملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ويتم ذلك كما يلي . .

[١] ـ **النفخ في الصور** : والصور هو البوق . عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: «ما الصور؟ قال ﷺ: الصور قرن «بوق ينفخ فيه» قال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وقال الترمذي حديث حسن صحيح . أما البوق فليس كأبواق الدنيا. إنه بوق يسمع الموتى من تحت التراب وفي كافة أرجاء المعمورة على مر الدهور والعصور، فإذا هم قيام ينظرون.

أما النافخ في الصور فهو إسرافيل عليه السلام وقد وقع التصريح به في حديث وهب بن المنبه وفي حديث أبي سعيد عن البيهقي وحديث أبي هريرة عن ابن مردوية وفي رواية عن ابن عمرو بن العاص قال: سئل رسول الله ﷺ عن الصور فقال: «ينفخ فيه فإذا أمر اسرافيل بالنفح ونفخ عندها تزلزل الأرض وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» وتقوم الساعة يوم الجمعة. ففي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة. . فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمة» رواه مسلم.

ينفخ في الصور مرتين يحصل في الأولى الصعق وموت الأحياء، وفي الثانية البعث والقيام قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر ـ ٦٨) وقد سمى القرآن النفخة الأولى بالراجفة والثانية بالرادفة قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ (النازعات ٦ ـ ٧).

ويعرف الطاهر بن عاشور الصعق بأنه الإغماء من خوف أوهام قال تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ ورد عن ابن كثير أن النفخ ثلاث مرات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لله رب العالمين ورد عليه القرطبي في التذكرة وابن حجر في الفتح : أن أحاديث

الثلاثة ضعيفة. وأن مغايرة الصعق للفزع لا يمنع أن يحصلا معاً. فاذا كانت نفخة الصعق والفزع واحدة فصعقة القيام هي الثانية. أما المستثنون من الصعق بقوله (الا ما شاء الله): قيل جبرائيل وميكائيل وملك الموت عزرائيل وقيل: الولدان والحور العين في الجنة. وقيل: سيدنا موسى عليه السلام كذا نقل القرطبي عن الحليمي وفي شطر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش» وقد جزم ابن القيم: أن الصعقة التي تحدث عنها رسول الله ﷺ هي صعقة تكون بعد البعث وهي المراد بقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ (الطور - ٤٥) (عن كتاب الروح ٨ ٢٥) يصعقون يعني يهلكون والأرجح أنهم الشهداء ويلحق بهم الأنبياء لأنهم أحياء عن ربهم لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأل جبريل من الذين لم يشأ الله ان يصعقوا قال: «هم شهداء الله عز وجل» قال صاحب الفتح صححه الحاكم ورواته ثقات ورجحه الطبري والقرطبي.

[٢]- **البعث والنشور**: قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس ٥١) وقد اشارت الآيات والاحاديث إلى أن السماء تمطر قبل النفخة الثانية فتنبت أجساد العباد من القبور كما ينبت العشب من الأرض بعد المطر وقد اشارت الآية الكريمة إلى هذا التشبيه في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ (فاطر - ٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين اربعون ثم ينزل من السماء ماء فينبتون (الموتى) كما ينبت البقل وليس في الانسان شيء الابلي. الاعظم واحد هو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة». أخرجه البخاري ومسلم.

أما أجساد الانبياء فلا تبلى لحديث ابي داود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الانبياء» صححه ابن خزيمة (ورد في فتح الباري (٦ /٤٨٨) وقد اخبرنا رسول الله أنه اجتمع بالانبياء ليلة الاسراء والمعراج في بيت المقدس وفي السماوات مما يشير الى انهم أحياء.

- **أما صورة الأجسام**: بعد البعث فهي كصورتها في الدنيا وكذا الحواس

فهي بعد البعث كاملة وسليمة قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرىٰ فإذا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾وهذا يشير إلى سلامه الاعضاء والبصر. وفي قوله تعالى: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُم إِنْ لَبِثْتُمْ الاعَشْراً﴾اشارة إلى سلامة العقل والنطق وفي قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (الصافات ٢٢) قال بعض المفسرين: اهدوهم أي دلوهم ولادلالة لأعمى أو أصم ولا سؤال لأبكم فثبت أنهم يكونون باسماع وألسنة ناطقه (عن التذكرة ٢٥١).

ـ ومن المفارقات بين خلق الدنيا وخلق الأخره: قوة الحواس في الآخرة عنها في الحياة الدنيا حيث يبصرون في الآخرة ما حجب عنهم في الدنيا كالحق والملائكة ونطق الاعضاء بالشهادة على أصحابها قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق ٢٠ـ ٢١).

ـ أما طبيعة الأجسام: فتختلف عما كانت عليه في الدنيا إنها تتناسب مع عالم الآخرة حيث لا مرض ولا موت ولا تبول ولا تبرز ولا طمث ولا نفاس ولا طفوله ولا شيخوخة قال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ (إبراهيم ١٧). عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود: اني رسول رسول الله ﷺ تعلمون المعاد إلى الله ثم الى الجنة او النار: إقامة لا ظعن فيه وخلود لا موت، في أجساد لا تموت» رواه الطبراني والحاكم بإسناد صحيح.

الفصل الثالث

الحشر والمعاد

ـ **المعاد**: وهو مصدر أو اسم مكان، وحقيقة العَوْد: توجه الشيء إلى ما كان عليه. والمراد ها هنا الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الإجتماع بعد التفرق وإلى الحياة بعد الموت. والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة، وأما المعاد الروحاني المحض على ما يراه الفلاسفة فمعناه رجوع الأرواح إلى ما كانت عليه من التجرد عن علاقة البدن، واستعمال الآلات والتبرؤ عما ابتليت به من الظلمات (شرح المقاصد ـ ٢/١٥٣).

عرض لرأي الفلاسفة وعلماء الكلام في المعاد والرد عليهم

واختلف الناس في المعاد فقال الفلاسفة الطبيعيون، أنه لا معاد للبشر أصلاً زعماً منهم أن هذا الهيكل المحسوس بما له من المزاج والقوى والأعراض: إن ذلك يفنى بالموت وزوال الحياة، ولا يبقى إلا المواد العنصرية المتفرقة، وانه لا إعادة للمعدوم، وفي هذا تكذيب للعقل على ما يراه المحققون من أهل الفلسفة، وللشرع على ما يراه المحققون من أهل الملة.

واتفق المحققون من الفلاسفة المليين على حقّيّة المعاد، واختلفوا في كيفيته، فذهب جمهور المسلمين إلى أنه جسماني فقط، لأن الروح عندهم جسم سار في البدن سريان النار في الفحم والماء في الورد. وذهب الفلاسفة إلى أنه روحاني فقط، لأن البدن ينعدم بصوره واعراضه فلا يعاد. والنفس جوهر مجرد

بـالٍ لا سبيل إليـه للفناء فيعـود إلى عالم المجـردات بقطع التعلقـات. وذهب كثير من علمـاء الإسلام كالإمـام الغـزالي والكعبي والحليمي والـراغب والـدبـوسي إلى القول بالمعاد الروحاني والجسماني جميعـاً ذهابـاً إلى أن النفس جوهـر مجرد يعـود إلى البـدن وهـذا رأي كثيـر من الصـوفيـة والشيعـة والكـراميـة وبـه يقـول جمهـور النصـارى والتنـاسخيـة. قـال الإمام الـرازي إلا أن الفـرق: أن المسلمين يقـولـون بحـدوث الأرواح وردها إلى الأبـدان لا في هذا العـالم الدنيـوي بـل في الآخـرة. والتناسخية تقوم على رد الأرواح إلى الأبدان في هذا العالم الدنيوي. والمعتزلة يدعون إثبات المعاد بـل وجوبـه بدليـل العقل وتقريره: أنـه يجب على الله ثواب المـطيعين وعقـاب العاصين ولا يتأتى ذلـك إلا بـاعـادتهم بـأعيانهم فيجب: لأن مـا لا يتـأتى الـواجب إلا به فهـو واجب. وخطؤهم في ذلـك قولهم بـالوجـوب على الله تعـالى. والجواب أنه إذا اعتبر الأمر بحسب الحقيقة: فالمستحق هـو الروح لأن مبنى الـطاعة والعصيان على الإدراكات والإرادات والفعال. وإن اعتبر بحسب الظاهر: يلزم أن يعـاد جميع الأجزاء الكائنة من أول التكليف إلى الممات، فلا يقـولون بذلك. لـذا فالأولى التمسـك بدليـل السمع وتقـريـر أن الحشـر والإعادة أمـر ممكن أخبـر بـه الصـادق الأمين.

[٣] - **الحشـر**: الحشر لغـة الجمع. وحشـر الناس جميعهم. والحشـر لـدى علمـاء التوحيـد هو سـوق جميـع المخلوقـات إلى المـوقف على الأرض المقدسـة المبدلـة التي لم يعص الله عليهـا لفصـل القضـاء بينهم. (شـرح الجوهرة ص ـ ٢٠٣).

وفي **يوم الحشر**: يحشـر الخـلائق جميعـاً الأولـون والآخرون: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الـواقعـة ـ ٥٠) وتـدل النصـوص على حشـر كـافـة المخلوقـات من إنس وجن ومـلائكـة قـال ابن القيم والبهائم كذلـك بدلالـة الكتاب والسنـة قال تعـالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام ـ ٣٨) وقـال: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكـوير ـ ٥). قـال أبو هريرة رضي الله عنه: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة: البهـائم والطيـر والدواب وكـل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقـول كـوني تـرابـاً فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ (التذكرة ـ٢٧٣).

- **حالة الناس يوم الحشر:** الثابت أنهم يحشرون كيوم ولدتهم أمهاتهم. حفاة عراة غرلا (غير مختونين) عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «انكم محشورون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ » (الأنبياء - ١٠٤) أخرجه البخاري ومسلم. وعندما سمعت السيدة عائشة به قالت لرسول الله ﷺ: «الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض قال ﷺ: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض» متفق عليه. وفي رواية أخرى أن الأنسان يحشر في الثياب التي مات فيها. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها» أخرجه ابو داود وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وقد وفق البيهقي بين هذين الحديثين بثلاثة أوجه:

(١) - أن الثياب تبلى بعد قيامهم من قبورهم فإذا وافوا الموقف يكونون عراة ثم يلبسون من ثياب الجنة.

(٢) - تكون كسوة كل انسان من جنس ما يموت فيه ثم إذا دخلوا الجنة لبسوا من ثيابها.

(٣) - أن المراد بالثياب الأعمال أي يبعث في أعماله التي مات فيها من خير أو شر (ولباس التقوى ذلك خير).

ففي حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث كل انسان على ما مات عليه» (عن البداية والنهاية - ٢٨٨ /١)، وأرجح ما ذهب إليه العلماء ومنهم القرطبي: يحشر الناس حفاة عراة وأن الذين يحشرون بثيابهم هم الشهداء لفضلهم ومنزلتهم عند الله وأن الأحاديث الواردة بذلك وردت من أكثر من طريق بعكس حديث أبي داود.

- **أما أرض المحشر:** فهي أرض أخرى غير أرض الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم - ٤٨) قال ابن عباس يزاد فيها وينقص منها ويذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها (عن فتح الباري - ١١/٣١٦). عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء (خالصة البياض) كقرصة النقى (الدقيق)» قال سهل وغيره: ليس فيها معلم لأحد» رواه البخاري ومسلم. والقصد بتبدّل الأرض هو تبدل صفاتها. وفي رواية البيهقي قال: «تبدل الأرض أرضاً كأنها الفضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة» رجاله رجال الصحيح (عن اليوم الآخر للأشقر ـ ٦٦) ويتم التبدل حين يكون الناس على الصراط. عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض) فأين يكون الناس يا رسول الله، فقال ﷺ «على الصراط» رواه مسلم وفي رواية الترمذي قال: «على جسر جهنم» وروى مسلم عن حديث ثوبان مرفوعاً «يكونون في الظلمة دون الجسر» يقول صاحب الفتح جمع البيهقي هذه الأحاديث بقوله: «ان المراد بالجسر هو الصراط وفي قوله على الصراط مجازاً لكونه يجاوزونه».

ـ **القدوم إلى أرض المحشر**: يحشر الناس ثلاثة أصناف:

(أ) ـ الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء. فيدعون إلى المحشر معززين مكرمين راكبين، ووجوههم (يومئذٍ مسفرة ضاحكة مستبشرة) وأولئك هم السابقون المقربون الذين يقول الله فيهم (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) يعني راكبين.

(ب) ـ والصنف الثاني هم أصحاب الميمنة المؤمنون الصالحون يردون المحشر ماشين على أقدامهم.

(ج) ـ الصنف الثالث: العصاة والكافرون وهم أصحاب المشأمة يساقون إلى المحشر كالبهائم على وجوههم ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ (الأسراء ـ ٩٧) (ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً) ووجوههم يومئذ (عليها غبرة ترهقها قتره أولئك هم الكفرة الفجرة) (الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ١ ـ صنفاً مشاة، ٢ ـ وصنفاً ركباناً، ٣ ـ وصنفاً على وجوههم. قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ﷺ: ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم. أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك» أخرجه الترمذي وقال، حديث حسن.

أهوال يوم القيامة

وتتمثل في :

[أ] ـ الرهبة المترتبة :على تصدع التضاريس الطبيعية والأجرام السماوية التي قال تعالى في وصفها: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (الفجر - ٢١) وقال: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ (الحاقة ١٣ - ١٨) قال: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ (القيامة - ٧) وقال: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ (الواقعة - ٤) وقال: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ (القارعة - ٥) وقال: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (التكوير - ٦) وقال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ (طه ١٠٥ - ١٠٧).

[ب] ـ دنوّ الشمس من رؤوس الناس: عن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل» قال سليم بن عامر فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة أرض أو الميل الذي تكحل به العين، قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاماً وأشار رسول الله ﷺ إلي فيه» رواه مسلم. وذكر البذار في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول يا رب إرسالك بي إلى النار أهون علي مما أجد (وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب) ».

(ج) ـ الازدحام وطول الحشر على العصاة: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (الحج - ٤٧) وقال: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج - ٤).

قال الحسن البصري يصف أهوال ذلك اليوم: «فما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم مقدار خمسين الف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى

إذا انقطعت اعناقهم عطشاً وأحترقت أجوافهم جوعاً أنصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد أنى حرها واشتد نضجها. واعلم أن هذا اليوم يتلون الواناً ويستحيل أحوال الناس فيه أحوالا. فيبعثون فيه من قبورهم ويسأقون فيه إلى محشرهم ومكان القضاء منهم ويقفون فيه ما شاء الله أن يقفوا شاخصة أبصارهم إلى السماء مبهوتين سكارى حيارى من عظيم ما أصابهم وهول ما نزل بهم. ثم يموج بعضهم في بعض ويمشون من نبي إلى نبي يطلبون الشفاعة»، وذكر ابن وهب من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال للنبي ﷺ في يوم كان مقداره خمسين الف سنة: «ما أطول هذا اليوم فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده أنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة كان يصليها في الدنيا». وبالجملة فليس يتم ذلك اليوم إلا وقد نزل كل انسان بداره واستقر في قراره من جنته أو ناره. إنه يوم لاليل فيه ولا نهار يوم تزهل فيه كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد».

يوم الحساب

كلام الله تعالى: حين يكتمل حشد الناس يوم الحشر﴿ **يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يُخْفَىٰ عَلَى ٱللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ** ﴾ يقول تعالى: ﴿ **لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ** ﴾ فيسكت الناس خجلاً ورهبة واعترافاً بالذنب. فيجيب جل شأنه: ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (غافر ١٦ ـ ١٧) حيث لا محسوبية ولا وساطة ولا تأجيل ولا محاباة. وفي الحديث الشريف يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول﴿ **أَنَا ٱلْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ** ﴾ أخرجه البخاري ومسلم.

ـ **الحساب**: لغة هو العد. وشرعاً هو مواجهة الناس بأعمالهم لإدانة المخطىء ومعاقبته وتكريم المطيع ومكافأته. ما أن يأذن الله تعالى بالحساب حتى يفتتح المحاكمة بتوزيع التهم الثابتة التي سجلها الملكان رقيب وعتيد (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) ويقال لكل انسان ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الأسراء ـ ١٣) ويستوي في القراءة المتعلم وغير المتعلم فيطلع الجميع على سجل أعمالهم ويعترفون في قرارة أنفسهم بأخطائهم المدونة

عليهم دون زيادة أو نقصان. إنها تُهم صادقة سجلت كل ما لهم وما عليهم ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف - ٤٩) ذلك لكي يقيم الله الحجة على عباده فلا يصدر حكمه قبل إدانتهم وإعترافهم بأخطائهم والاستماع إلى دفاعهم. ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (الأنبياء - ٤٧) ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ (٦) فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ (٨) فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌۢ (١١) ﴾ (القارعة ٦ - ١١).

(١) - ان أول من يدعى إلى السؤال يوم القيامة هم الرسل ليشهدوا على قومهم بأنهم بلغوا الرسالة ونصحوا الأمة ونبهوا الغافلين وحذروا العاصين والمشركين ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأعراف - ٦) وما الأنبياء والمرسلون إلا شهود عدول لا مجال للطعن بشهادتهم قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الزمر - ٦٩).

(٢) - ثم يحاسب المتقون الصالحون الطائعون برفق ولين (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً) لا سؤال بعده ولا حساب سواه (وينقلب إلى أهله مسروراً) فرحاً بنجاته ورضاء ربه.

(٣) - ثم يحاسب الظالمون والعاصون والكافرون حساباً عسيراً (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً (الهلاك) ويصلى سعيراً إنه كان في أهله مسروراً انه ظن أن لن يحور (أن لا يرجع إلى ربه ليحاسبه).

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقول له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وترجع وفكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا. فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني» رواه الترمذي والقرطبي يقول الترمذي فيجده عبداً لم يقدم خيراً فيمضي به إلى النار. (التحفة - ١١٤/٧)

(٤) ـ **حالة العباد أثناء قدومهم إلى الحساب**: يؤتى بالعباد أمام الحق صفوفاً ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ (الكهف ـ ٤٨) ويؤتى بالمجرمين المكذبين للرسل المعاندين للحق مكبلين بالسلاسل والقيود قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (إبراهيم ٤٩ ـ ٥٠) وتعرض الأعمال وتشهد الأعضاء التي لا مجال للطعن في شهادتها لتثبيت الجريمة قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور ـ ٢٤)، ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (فصلت ـ ٢١).

(٥) ـ **أول ما يحاسب عليه العبد: يوم القيامة**: ١ ـ الصلاة. وأول ما يقضي فيه بين الناس الدماء (القتل) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء» أخرجه البخاري والنسائي والترمذي. حديث حسن صحيح. وفي رواية النسائي عن رسول الله ﷺ: « أول ما يحاسب عليه العبد (يوم القيامة) الصلاة وأول ما يقضى بين الناس الدماء» رواه البخاري وإن أول من يحاسب من الأمم محمد بن عبد الله ﷺ: عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال: أين الأمة الأمية ونبيها. فنحن الآخرون والأولون» رواه ابن ماجة.

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاثة عرضات. فأما عرضتان فجدال ومعاذير (يدافع فيها الناس عن أنفسهم ويتعللون بالأعذار الواهية) وأما الثالثة فعند تطاير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله» ففي العرضة الأولى توزع التهم فيقرؤ كل امرىء سجل أعماله وفي العرضة الثانية يستمع الرب تعالى إلى الأعذار والشهود حالة الإنكار ويعاتب المقصرون ويذكر العاصون ألم يأتكم نذير؟ ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون؟ أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟ فيعترف المقصرون باستحقاقهم للعقاب وبعدالة الأحكام التي يستحقونها ويتمنوا العودة للدنيا فيقولون ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة ـ ١٢) ثم توزن الأعمال ثم تتطاير الصحف ناطقة بالحكم العادل في العرضة

الثالثة فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وآخذ من وراء ظهره. اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

الميزان

الميزان هو الأداة التي تبين مقادير أعمال العباد من خير أو شر مهما صغرت وتمايز بينها وهو يختلف عن موازين الدنيا طبيعة وشكلاً واستيعاباً ودقة وهو ميزان يزن الماديات والمعنويات ويرجح الكثير على القليل والثقيل على الخفيف. ومدلول رجحان عمل على عمل وخفة الموازين وثقلها يفيد وجود كفتين ترجح أحداهما على الأخرى وهذا ما يراه أهل السنة والجماعة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان» (التذكرة - ٣٧٨)، قالت المعتزلة ليس هنالك ميزان وإنما المقصود بالميزان العدل والقضاء. ذلك لأنهم قاسوه على موازين الدنيا وهذا قياس مرفوض عقلاً وشرعاً لإختلاف العوالم في كل شيء فيوم الآخرة كألف يوم في الدنيا ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج - ٤٧) ولو شاهد المنكرون للميزان الكمبيوتر وما يقدم من محاكمات معنوية يرفض الخطأ ويقر الصواب لما استغربوا ميزان العدل الألهي الذي يزن الأعمال ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس - ٨٢).

قال العلماء: إذا انقضى الحساب (وصدر القرار القطعي بتحديد سيئات وحسنات كل انسان) كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها (عن التذكرة - ٣٧٣).

واختلفوا فيما يوزن في ميزان العدل الألهي هل الأعمال أم الصحائف أو الانسان وصحائفه.

[١] - **قال ابن حجر العسقلاني:** والصحيح أن الأعمال هي التي توزن. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من حسن الخلق» أخرجه ابو داود والترمذي وصححه الحاكم عن أبي

مالك الأشعري قول رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» أخرجه البخاري ومسلم والترمذي كما في جامع الأصول. والقائلون بهذا الرأي قالوا تصوّر الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية (كأجسام نورانية) ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه. وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية «كأجسام ظلمانية» ثم تطرح في كفه الظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخف وهذا من المؤمن أما الكافر فتخف حسناته وتثقل سيئاته بعدل الله سبحانه (شرح جوهرة التوحيد - ١٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن الله يقلب الأعراض اجساماً فيزنها يوم القيامة (التذكرة - ٣٧٧).

[٢] - **وقيل توزن صحائف الأعمال**: روى الترمذي في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مثل مد البصر. ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول، الك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول الله تعالى: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول أحضر وزنك فيقول يا رب هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول فانك لا تظلم فتوضع السجلات (المدونة للسيئات) في كفة والبطاقة (التي فيها التشهد) في كفة فطاشت السجلات (ارتفعت كفتها) وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء» صححه ابن حبان والحاكم والبيهقي وقد مال القرطبي إلى هذا القول فقال (والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب التي فيها الأعمال المكتوبة وبها تخف) قال ابن عمر توزن صحائف الأعمال. وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فلا غرابة في وزنها. ويقول القرطبي في التذكرة (٣١٣): فيجعل الله تعالى رجحان احدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار.

[٣] - **وقيل يوزن الرجل وأعماله وصحفه**: قال بذلك الحافظ الحاكمي مستنداً إلى ما أخرجه الأمام أحمد عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصي عليه فيمايل به الميزان قال فيبعث به إلى النار قال فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن

عز وجل يقول: لا تعجلوا فإنه بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان» عن مشكاة المصابيح (١/٦٣٠) وذكر أبو بكر البزار حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ملك موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيقف بين كفتي الميزان فإذا ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً. وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً» ويأمر الله تعالى بإعلان النتائج وتتطاير الصحف إلى أصحابها فأما الفائز فيأخذ بطاقة نتيجته بيمينه ويرفعها بيده إلى أعلى قائلاً: هاأوم اقرؤا كتابيه وأما الخاسر فيأخذها بشماله أو من وراء ظهره خجلاً منكسراً ولسان حاله يقول: يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكتب كلها تحت العرش فإذا كان الموقف (لتوزيع النتائج) بعث الله ريحاً فتطيرها بالإيمان والشمائل أول خط فيها «أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً (الأسراء - ١٤).

وتضاربت الآراء حول عدد الموازين: ذهب بعض العلماء ومنهم ابن حجر العسقلاني أن الميزان واحد يزن أعمال كافة المخلوقات وأنه ذكر في القرآن بصيغة الجمع نظراً لتعدد الأعمال والأشخاص وقيل المراد بالموازين جمع موزون أي الأعمال الموزونة لا جمع ميزان (كما في التذكرة (٣٨٥) وقيل أن جمع الموازين بقوله تعالى (فأما من خفت موازينه) إنما هو للإستعظام.

وقيل ان لكل مكلف ميزان بدليل قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ قال بذلك الحسن البصري وقيل أنه ميزان واحد كبير إظهاراً لجلالة الأمر وعظمة المقام كما في النسفية وشرح المقاصد (٢/١٦٤) والميزان لا يكون لكل انسان لأن هنالك من لا يحتاج إلى حساب كالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين يدل على ذلك حديث رسول الله ﷺ في الشفاعة حيث يقول له ربه: «يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه» بقي الميزان لمن سيحاسب ممن بقي من أهل المحشر ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين. والسبعون الف الذين يدخلون الجنة بلا حساب الذين ذكرهم الحديث لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفاً (عن التذكرة - ٣٧٥).

الأسس التي يجري الحساب على أساسها وهي:

(أ) ـ **العدل الشامل للجميع**: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة ـ ٢٨١) وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ (النساء ـ ٤٠).

(ب) ـ **لا يسأل أحد عن تصرف غيره**: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (الأنعام ـ ١٦٤) وقال: ﴿ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (الطور ـ ٢١) وقال: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ (النجم ٣٩ ـ ٤١).

(ج) ـ **مضاعفة الحسنات دون السيئات**: دليل على رحمة الله بعباده قال تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ (التغابن ـ ١٧) وقال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ (الأنعام ـ ١٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك. فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة. فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة. فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة» أخرجه البخاري ومسلم.

أما ما يسأل عنه العبد يوم القيامة:

(١) ـ **سلامة العقيدة**: نظراً لأهميتها في توجيه سلوك الانسان وفي بناء المجتمع وسعادة بني الأنسان. لأن الكفر والشرك والضلال والإبتعاد عن منهج الله تعالى يسبب الظلم والفساد لذا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء ـ ١١٦) وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان ـ ١٣) ذلك لما فيه من ظلم للنفس وظلم للمجتمع وفي التبكيت على المشركين يقول: ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ (الشعراء ـ ٩٢).

(٢) ـ السؤال عن أعماله في الدنيا: عن التزامه شرع الله في العبادات والمعاملات والعادات قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(الحجـر ـ ٩٢) عن أبي بـرزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامـة حتى يُسأل عن عمـره فيم أفناه وعن علمـه ماذا عمل بـه وعن مـاله من أين اكتسبـه وأين أنفقه وعن جسمـه فيم أبلاه» أخـرجه التـرمـذي في سننه وقال حديث حسن صحيح.

(٣) ـ السؤال عن النعيم: قـال تعـالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ (التكاثر ـ ٨) قال ابن عباس النعيم هو صحة الأبـدان والأسماع والأبصـار عن تفسير ابن كثيـر (٧/٣٦٤) يعني الإهتمام بسـلامتها ثم استخـدامها فيمـا يرضي الله تعـالى فهل هناك نعمـة أفضل من سـلامة الأعضاء والحـواس. لـذا يجـدر بـالمسلم أن لا يشغله النعيم عن مراقبة وجه الله تعالى وعن أداء الحقوق لأصحابها إذ كثيراً ما ينسى الغني المتـرف الفقراء والأرحام والجيران وقـد ينسى الله فـلا يؤدي حقـه وقـد ينسى المترفون الحلال والحرام فيقعـون في المحرمـات في حفلات أفـراحهم إذ كثيراً مـا تشغلنا الفرحة والبهجة عن حقوق الآخرين وتنسينـا مراقبـة رب العالمين فنفـرط في جانب ونقصر في آخر.

(٤) ـ دعوة لكل أمة للسير وراء إمامهم وآلهتهم التي تبعوها في الدنيا: ما أن ينتهي الحسـاب وتتطايـر الأوراق تحمـل في طيـاتهـا الحكم العـدل حتى يصـدر الأمر بالإنصراف: كل أمة وراء إمامهـا كما دعـاها للحضـور إليه وراء إمـامها. وذلـك للتبكيت والتعجيـز والإهانـة فمن عبد الشمس فليتبعهـا وليطلب منهـا أن تخلصه من النـار ومن عبد الشيـطان فليطالبـه بوعـده بالنجـاة ومن عبد الـرسل فليسـر كل منهم وراء رسوله لينجزه ما وعده ومن جحد الله وآمن بـالطبيعـة فيطلب منهـا أن تشفع لـه ومن ترك الإسلام وسار في طريق الأحزاب الكافرة فليتبع قادتها وفلاسفتها علهم يدخلونه الجنة ويبعدونه عن النار. في هذا اليوم تـزول الغشاوة عن العيون ويعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ويعلمون أنه (من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منـه) ويسيرون وراء رؤسـائهم كما سـار اتبـاع فـرعـون وراءه فقـادهم إلى الهـلاك، قـال تعـالى عنـه: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ (هـود ـ ٩٨) أخرج مسلم في صحيحه (أن اناساً قالوا يا رسـول الله: هل نـرى ربنا يـوم القيامـة فقال: هل تضارون في رؤيـة القمر ليلة البـدر قالـوا لا يا رسـول الله. قال: فهـل تضارون في رؤيـة الشمس ليس دونهـا حجـاب قـالـوا لا قال: فإنكم ترونه كذلـك يجمع الله

الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم» حديث صحيح .

الصراط

الصراط لغة الطريق الواضح وصرطه يصرطه إذا ابتلعه لأنه يتبلع المارة والصراط في عرف علماء التوحيد: هو جسر ينصب بين طرفي جهنم يقع العصاة عنه في النار وينجو الصالحون باجتيازه حتى يصلوا جنة المأوى. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم أحد إلا الرسل وكلام الرسل يومئذٍ (دعاؤهم) اللهم سلم سلم . وجهنم كلاليب مثل شوك السعدان (نبات من شوكة من كل الجوانب) هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فإنها مثل شوك السعدان عير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم (السيئة في الدنيا) فمنهم من يوبق بعلمه ومنهم من يخردل (يخدش) ثم ينجو» حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي . روى مسلم والترمذي أن عائشة رضي الله عنها تلت هذه الآية: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم ـ ٤٨) قالت يا رسول الله: أين يكون الناس (يومئذٍ) قال : على الصراط» وفي رواية «قال هم في الظلمة دون الجسر» يقول القاضي عبد الجبار من جملة ما يجب الإقرار به وإعتقاده: الصراط: وهو طريق بين الجنة والنار يضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه ويتسع على أهل الجنة. وقد دل عليه القرآن في سورة الفاتحة: ﴿إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وتكون مشقة الناس بالمرور على الصراط حسب صلاح أعمالهم في الدنيا. فمنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم كالريح العاصف ومنهم بسرعة الطير أو سرعة الجواد ومنهم سعياً ومنهم مشياً ومنهم حبواً ومنهم على وجوههم .

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ

﴿ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم - ٧١ - ٧٢) وقد فسر بعض العلماء الورود على جهنم بالمرور على الصراط المنصوب فوق جهنم. أما الذين ينجيهم الله من حرها ولهيبها فهم أهل الصدق والإيمان المستقيمون على منهج الله الذين يجوزون الصراط كلمح البصر فلا يمسهم سوء بل تملأ قلوبهم الغبطة والسرور لأن الله نجاهم من النار وسعيرها. . ذلك لأن شعور المؤمن بالنجاة من النار بعد مشاهدتها والمعذبين فيها يكون أعظم أثراً وتقديراً لنعمة الله مما لو يشاهدوها. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء - ١٠١).

القنطرة بعد الصراط: في الحديث الشريف «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على القنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» رواه البخاري في صحيحه.

الخلود

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة أيقنوا بالخلود ويا أهل النار ايقنوا بالخلود قال فيزداد أهل النار حزناً وأهل الجنة سروراً» حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن المبارك وابن جرير وابن حبان والبغوي. ومن حديث ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يجمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا ليتبع كل أنسان ما كان يعبد فيتمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كان يعبدون ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين فيقول ألا تتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك الله ربنا هذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم قالوا وهل نراه (الرب) يارسول الله. قال وهل تضارون من رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم لا تضارون في رؤيته تلك الساعة ثم يتوارى ثم يطلع فيعرفهم نفسه ثم يقول أنا ربكم فاتبعوني. فيقوم المسلمون ويوضع الصراط فيمر عليه مثل جبار الخبل والركاب وقولهم عليه (دعاؤهم) سلم سلم ويبقى أهل النار فيطرح فيها منهم فوج ثم يقال لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد حتى اذا

او عبـوا فيها وضـع الرحمن قـدمه فيهـا واذوى بعضها الى بعض ثم قـال قط قـالت قط قط فإذا أدخل الله أهـل الجنة الجنـة وأهل النـار النار أتي بـالموت ملياً فيوقف على السـور الذي بين أهـل الجنة وأهـل النار ثم يقـال: يـا أهـل الجنـة فيـطلعـون خائفين ثم يقال يا أهل النـار فيطلعـون مستبشرين يـرجون الشفـاعة فيقـال لأهل الجنـة وأهل النـار هل تعـرفون هـذا فيقولـون هؤلاء وهؤلاء قد عـرفنـاه هـو المـوت الـذي وكل بنـا فيضجع فيذبح ذبحـا على السور ثم يقـال يـا أهـل الجنـة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت» أخرجه الترمذي .

الفصل الرابع

الشفاعة

الشفاعة لغة: الوسيلة والطلب.

وعرفاً: سؤال الخير من الغير للغير.

وشرعاً: سؤال الله الخير للناس في الآخرة[1].

وشفاعة المولى هي عفوه فإنه يشفع فيمن قال: لا إله إلا الله وأثبت الرسالة للرسول الذي أرسل له ولم يعمل خيراً قط ليتفضل الله عليه بعدم دخول النار بلا شفاعة أحد.

والمشفع ـ بفتح الفاء ـ هو الذي تقبل شفاعته والمقصود به هنا هو الرسول محمد ﷺ لكونه مقدماً على غيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، فهو الذي يفتح باب الشفاعة لغيره فقد قال: «أنا أول شافع وأول مشفع»[2] [3] وهناك من أرتضاه الله من الأحياء كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والأولياء فيشفع لأرباب الكبائر على قدر مقامه[4].

فقد ورد في الصحيح من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً قال:

---

(١) العقائد الإسلامية: (١٧٣).

(٢) شرح جوهرة التوحيد: (١٨٦).

(٣) سنن أبن ماجة كتاب الزهد: باب الشفاعة (٢/ ١٤٤٠) رقم الحديث (٤٣٠٨).

(٤) شرح جوهرة التوحيد: (١٨٧).

«فيقـول الله تعالى: «شفعت المـلائكة وشفـع النبيون وشفـع المؤمنـون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط»[1].

ولا يشفع عند الله أحد ممن ذكر إلا بعد أن يأذن الله له ويحد له حدا كما في الصحيح (فأقول ربي أمتي فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة) (رواه البخاري ١٣/٣٩٥).

ولقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (البقرة ـ ٢٥٥)

ـ أنواع الشفاعة:

اختلف العلمـاء في شفـاعـاتـه ﷺ وكم هي: حتى بلغ عنـد بعضهم ثمـاني شفاعات نذكر منها (شرح الطحاوية ـ ١٧٢):

[أ] ـ شفـاعتـه العـامـة: التي خص بهـا من بين سـائـر الأنبيـاء وهي لأهـل المـوقف ليعجل حسـابهم ويراحـوا من هـول المـوقف وهـذا معنى قـولـه تعـالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[2] وهو الأظهر.

[٢] ـ شفاعته في إدخال قوم الجنـة بغير حسـاب، فقد ورد في الصحيـح في حـديث عكاشـة بن محصن حين دعا لـه رسـول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفـا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (فتح الباري ـ ١١/٥ ـ ٤).

[٣] ـ شفاعته في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها.

[٤] ـ شفاعة الرسول ﷺ في تخفيف عذاب عمه أبي طالب.

روى مسلم عن أبي سعيـد الخـدري رضي الله عنـه أن رسـول الله ﷺ ذكـر عمه أبا طالب فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يـوم القيامـة فيجعل في ضحضـاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منها دماغه» صحيح مسلم كتاب الإيمان.

فـإن قيل: أن الله قـال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[3] قيـل لهـم: لا تنفع في

---

(١) فتح الباري كتـاب التوحيـد باب قـوله تعـالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ حديث رقم (٧٤٣٩) ج (١٣) ص (٤٢٠ ـ ٤٢١).

(٢) سورة الأسراء: الآية (٧٩).

(٣) سورة المدثر: الآية (٤٨).

الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

[٥] - شفاعته في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة.

[٦] - شفاعته فيمن دخل النار من المذنبين أن يخرج منها.

وهذان النوعان الأخيران من الشفاعة انكرته المعتزلة والخوارج [١] فقصروا الشفاعة على المطيعين والتائبين لرفع الدرجات وزيادة المثوبات فهي عندهم لزيادة الثواب لا لدرء العقاب (شرح المواقف ٢/٤٤٩).

واحتجوا:

(أ) - بالآيات الدالة على نفي الشفاعة بالكلية.

- كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ (المدثر - ٤٨).

- ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ (الإنفطار - ١٩)

- ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (الجن - ٢١).

- ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة - ٤٨).

- ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ (البقرة - ٢٥٤).

- ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء - ١٠٠/١٠١)

- ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [٢]

(ب) - إن الشفاعة ليست إلا في المحسنين فقط بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [٣]، **فمنطوق هذه الأية يشعر بنفي الشفاعة لصاحب**

---

(١) التذكرة للقرطبي: (٣٠٠ - ٣٠١).

(٢) سورة البقرة: (١٢٣).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٢٨).

الكبيـرة لأنـه ليس بمـرتضى ومفهـوم قـولـه تعـالى حكـايـة عن حملة العـرش ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ ولا فارق بين شفاعة الملائكة وشفاعة الأنبياء .

(ج) ـ قول رسول الله ﷺ : «لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي» [(١)].

(د) ـ الاجماع على الدعاء بقولنـا : اللهم اجعلنا من أهـل شفاعـة محمد ولـو خصت الشفاعة لأهل الكبائر لكان ذلك بجعله منهم (شرح المقاصد ـ ٢ / ١٧٦) .

الجواب :

ذهب أهل السنة والأشعـرية والكـرامية وبعض الـرافضة إلى القـول بالشفـاعة وأجابوا :

ـ لا يجـوز الإقتصـار على بعض القـرآن دون بعض ولا على بعض السـنن دون بعض ولا على القـرآن دون بيان رسـول الله ﷺ الذي قـال لـه ربـه عـز وجـل : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [(٢)] .

فقد نص القرآن الكـريم على صحة الشفـاعة قـال جل وعـلا : ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [(٣)] فـأوجب الله الشفـاعـة لمن اتخـذ عنده عهداً بها .

وقـال تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (طه ـ ١٠٩)

وقال أيضاً : ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [(٤)]

فنص الله تعـالى على أن الشفاعـة يوم القيـامة تنفـع عنده عـز وجل ممن أذن له فيها ورضي له قولاً .

ولا أحـد أولى بذلـك من محمـد ﷺ كمـا جـاء في الحـديث عن أبي سعيـد

---

(١) الحـديث لم أجده فيمـا لدى من كتب الحـديث وهو مخـالف للأحـاديث الصحيحية ومنها الحديث المرفوع (شفاعتي لأهل الكبائر من امتي) .

(٢) سورة النحل (٤٤) .

(٣) سورة مريم : الآية (٨٧) .

(٤) سورة سبأ (٢٣) .

الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، فأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر» (سنن ابن ماجه - الزهد).

- وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ (محمد - ١٩).

أي لذنوب المؤمنين فيعم الكبائر (١) والآية تدل على أن لاستغفاره ﷺ لذنوب أهل الإيمان نفعاً. وإلا لما أمر الله تعالى به وطلب المغفرة للذنوب شفاعة في اسقاط عذابها فثبتت الشفاعة (العقائد النسفية ص - ١٤٩).

- وقال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (البقرة - ٢٥٥).

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ (النجم - ٢٦).

- وقال أيضاً: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (الزخرف - ٨٦).

- وقال أيضاً: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ (يونس - ٣).

فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فصح يقينا أن الشفاعة التي أبطلها الله عز وجل غير التي أثبتها سبحانه. فالتي أبطلها هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ (فاطر - ٣٦).

فصح بما لا يدع مجالاً للشك أن الشفاعة التي أوجبها الله عز وجل لمن أذن له واتخذ عنده عهداً ورضي له قولاً إنما هي لمذنبي أهل الأسلام كما جاء في الخبر الثابت (٢) وجميع الآيات الدالة على نفي الشفاعة لا بد أن تكون عامة في الأشخاص والأوقات، ودلائلنا في اثبات الشفاعة لا بد أن تكون خاصة فيها لأنا لا نثبت الشفاعة في حق كل شخص ولا في جميع الأوقات والخاص مقدم

---

(١) شرح المقاصد: (٢/ ١٧٥).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج (٤) ص (٦٣ - ٦٤).

على العام فالترجيح معنا (شرح المواقف ـ ٢ / ٤٥٠).

ـ وذلك جمعاً بين الأدلة على أن الظالم على الإطلاق هو الكافر وأن نفي النصرة لا يستلزم نفي الشفاعة لأنها طلب على خضوع والنصرة إنما تنبيء عن المدافعة والمغالبة (شرح المقاصد ـ ٢ / ١٧٦).

وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي» (أبن ماجة: كتاب الزهد) رقم (٤٣١٠)

والأحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى:

ـ أما قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّافِعِينَ﴾ (المدثر ـ ٤٨) فإن اسلوب هذا الكلام يدل على الشفاعة بالجملة (بشكل عام) وإلا لما كان لنفي نفع الشفاعة عن الكافرين عند القصد إلى تقبيح حالهم وتحقيق بأسهم معنى، والمقام هنا يقتضي أن يتوسم الكفار بما يخصهم وهي الشفاعة لهم لا بما يعمهم وغيرهم المؤمنين» (شرح النسفية ـ ١٤٩)

ـ وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (الجن ـ ٢١) وقوله ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ (الإنفطار ـ ١٩).

فما خالفناهم في هذا أصلا وليس هذا من الشفاعة في شيء، فنعم لا يملك أحد لأحد نفعاً ولا ضراً ولا رشداً ولا هدى وإنما الشفاعة رغبة إلى الله تعالى وضراعة ودعاء (الفصل ـ ٤ / ٦٤).

(٢) ـ أما قولهم أن الشفاعة ليست إلا في المحسنين محتجين بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ (الأنبياء ـ ٢).

فهذا لا حجة لهم فيه، لأن من أذن الله باخراجه من النار وأدخله الجنة، وأذن للشافع في الشفاعة له فقد أرتضاه.

وهذا حق وفضل من الله على من غفر له ذنوبه، أما من رجحت حسناته على كبائره أو لم تكن له كبيرة أو بأن تاب عنها فهو مستغن عن شفاعة كل شافع فقد حصلت له الرحمة والفوز من الله تعالى وأمر به إلى الجنة فلماذا يشفع له.

إنما الفقير إلى الشفاعة من غلبت كبائره حسناته فأدخل النار ولم يأذن الله

تعالى بإخراجه منها إلا بالشفاعة وكذلك الخلق في الموقف هم أيضاً في مقام رهيب رعيب شاق فهم أيضاً يحتاجون إلى الشفاعة(الفصل ـ ٤/ ٦٤).

كما أنا لا نسلم أن من أرتضى لا يتناول الفاسق فإنه مرتضى من جهة الإيمان والعمل الصالح وإن كان مبغوضاً من جهة المعصية بخلاف الكافر المتصف بمثل العدل، أو الجود فإنه ليس بمرتضى عند الله أصلاً لفوات أصل الحسنات وأساس الكمالات.

ولا نسلم أن الذين تابوا لا يتناول الفاسق فإن المراد تابوا عن الشرك إذ لا معنى لطلب مغفرة من تاب عن المعاصي وعمل صالحاً عندكم لكونه عبثاً [1].

(٣) ـ أما إحتجاجهم بحديث «لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي» فهو موضوع بالاتفاق وبتقدير صحته فهو محمول على من ارتد منهم [2].

(٤) ـ وإذا جاز العفو والمغفرة بدون الشفاعة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(سورة النساء ـ ٤٨).

فبالشفاعة أولى وبما ان العفو عن الكبائر عند المعتزلة غير جائز لم يجز بالشفاعة (العقيدة النسفية ـ ١٤٨).

(٥) ـ أما المراد من: اجعلنا من أهل الشفاعة فعلى تقدير المعاصي كما في قولنا اجعلنا من أهل المغفرة وأهل التوبة وتحقيقه أن المتصف بالصفات إذا اختص بكرامة منشأها بعض تلك الصفات دون البعض لم يكن استدعاء أهلية تلك الكرامة بل استدعاء الصفة التي هي منشأ تلك الكرامة.

الا يورن أن المعالجة وان لم تكن إلا للمريض كقولك اللهم اجعلني من أهل العلاج ليس طلباً للمرض بل لقوة المزاج وكذا ههنا الشفاعة وإن اختصت بأهل الكبائر ولكن منشأها الإيمان وبعض الحسنات التي تصير سبباً لرضى الشفيع عنه وميله إليه (شرح المقاصد ـ ٢/ ١٧٦).

---

(١) شرح المقاصد (٢/ ١٧٦).

(٢) شرح جوهرة التوحيد: (١٨٧).

والشفاعة ثابتة شرعاً دون خلاف فقد ثبت في صحيحي البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل نبي سأل سؤالاً وقال: لكل نبي دعوة دعاها لأمته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» (عن جامع الأصول ـ ٤٧٥/١٠) وفي صحيحي البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وأني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة. فهي نائله إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً» (جامع الأصول) وذكر البخاري من حديث آدم ابن علي قال سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة جثي (من الجثو) كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود». أما تفصيل طلب الشفاعة العظمى فيرويه البخاري ومسلم في الحديثين التاليين الواردين في الجامع الأصول (٤٧٧/١٠).

[١] ـ روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن معبد بن هلال العنزي قال: «انطلقنا إلى أنس بن مالك، وتشفعنا بثابت، فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى، فاستأذن لنا ثابت، فدخلنا عليه، وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال له: يا أبا حمزة، إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة.

فقال: حدثنا محمد ﷺ، قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لذريتك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، فيؤتى موسى، فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد.

فأوتى فأقول: أنا لها، ثم انطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها، ثم أخر لربنا ساجداً، فيقول: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي، فيقول: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من بُرَّة أو شعيرةٍ من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل.

ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل.

ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل».

[٢] - وروى البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة ، وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون: مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنوا منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعضهم: أبوكم آدم.

فيأتونه، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت! نفسي، نفسي، نفسي، إذهبوا إلى غيري، إذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً, فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لناعند ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي! نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا

لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات. . . فذكرها۔ نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: أنت رسول الله، فضلك برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها.۔نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، وكلمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً. نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدا ﷺ۔ وفي رواية: فيأتوني ۔ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأ يمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر ۔ أو كما بين مكة وبصرى ومن كتاب البخاري كما بين مكة وحمير».

لاحظ بعض العلماء تضارباً في وقت الشفاعة. بينما وردت أحاديث لتخليص الناس من هول المحشر قبل الحساب اشارت بعض الأحاديث إلى إخراج العصاة من النار وذلك إنما يكون بعد المحشر والحساب وقد أبدى بعضهم رأيه في هذا الاشكال.

(١)۔ قال شارح الطحاويه: ان الذين نقلوا هذه النصوص قصروا في النقل والسر في هذا أنهم قصدوا الرد على الخوارج الذين انكروا خروج أحد من النار بعد دخولها (الطحاوية ٢٥٥).

(٢)۔ قال القاضي عياض: إن الشفاعة التي لجأ إليها الناس هي للاراحة من كرب الموقف ثم تجيء الشفاعة في الإخراج من النار. وقد وقع في حديث

ابي هريرة الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد فكأن الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أول فصل القضاء (ويأتي بعد الشفاعة) لإراحة الناس من كرب الموقف) وبهذا تجتمع متون الحديث وتترتب معانيها. وزاد بن حجر الأمر توضيحاً بقوله: إن في بعض الاحاديث شيئا من الاختصار وكأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظه الآخر (عن فتح الباري ١١/٤٣٨).

(٣)- ورأى الطيبي بأنه يجوز أن يراد بالاخراج من النار الكرب والشدة التي كان عليها أهل الموقف من دنو الشمس إلى رؤوسهم وكربهم بحرها وسفعها حتى ألجمهم العرق وإن الخروج منها يعني الخروج من تلك المسألة التي كانوا فيها قال ابن حجر وهو احتمال بعيد.

(أ) - والأرجح: أن الرسول الكريم تشفع أولاً بتعجيل الحساب للخلاص من الكرب والعناء والحر الذي يلقاه الناس عامة يوم المحشر كما صرح بذلك حديث ابن عباس ان رسول الله ﷺقال: «يا رب عجل حسابهم».

(ب) - شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من المسلمين عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» رواه الترمذي وابن ماجة حديث صحيح. عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نعم الرجل أنا لشرار أمتي قالوا فكيف أنت لخيارها قال: أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرار أمتي فيدخلون الجنة بشفاعتي» ذكره الدار قطني. ويسمى الذين يدخلون الجنة ممن عذبوا في جهنم بالجهنميين كما ذكره البخاري عن عمران بن الحصين عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة ويسمون بالجهنميين» أخرجه البخاري والترمذي.

وقد روى الترمذي عن جابر عن رسول الله ﷺ: «يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمماً ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة قال: فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة» قال الترمذي حديث حسن صحيح.

الفصل الخامس

الحوض

تعريفه: الحوض لغة: مجتمع الماء وشرعاً جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الأرض المبدلة، وهي أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء. من شرب منه لا يظمأ أبداً يعطى للرسول ﷺ في الآخرة لترده أمته. والحوض ثابت في الكتاب والسنة ففي الكتاب قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ (الكوثر: ١ - ٣) وفي السنة حدثنا أنس رضي الله عنه قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه مبتسماً قالوا له لم ضحكت؟ فقال: إنه أنزلت علي آنفاً سورة فقرأ السورة حتى ختمها فقال هل تدرون ما الكوثر؟ فقالوا الله ورسوله أعلم قال: هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير نرد عليه يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» رواه أحمد.

والأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً، استقصى طرقها الشيخ عماد الدين بن كثير في آخر كتابه «البداية والنهاية» كما ذكر شارح الطحاويه ص ١٦٧، وقد أكد الامام الجويني في اللمع أن الصراط والميزان والحوض مما ورد به الشرع.

وصف الحوض: والذي يتلخص من هذه الأحاديث في صفة الحوض: أنه حوض عظيم ومورد كريم يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر الذي هو أشد

بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحاً من المسك وهو في غاية الاتساع عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر وفي بعض الأحاديث أنه كلما شرب منه فهو في زيادة واتساع وأنه ينبت خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب ويثمر ألوان الجواهر. (عن شرح الطحاويه ١٦٨).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء «مربعة» ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه (أوانيه) كنجوم السماء (عدداً) من يشرب منها فلا يظمأ أبداً» متفق عليه. وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن حوضي أبعد من أيله من عدن. لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل أبل الناس عن حوضه» قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال: «نعم لكم سيماء ليست لأحد من الأمم. تردون علي غراً محجلين من أثر الوضوء» رواه مسلم وفي رواية ثوبان: سئل عن شرابه فقال: «أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغث (يسيل) فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق (فضة)».

في سعة الحوض: أحاديث عدة منها: «أن الحوض كما بين عدن وعمان» أخرجه ابن ماجه وذلك مسافة شهر وفي رواية «من مقامي إلى عمان» وفي الصحيحين «معاً بين صنعاء والمدينة» وفي رواية «كما بين الأيله (الأردن) إلى الجحفة[1]»[2] وفي رواية «حوضي مسيرة شهر» «حوضي أبعد من أيله من عدن».

وفي رواية لابن ماجة «ما بين الكعبة وبيت المقدس»[3] فظن الناس أن في هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك، وإنما تحدث المصطفى بحديث الحوض مرات عديدة وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة فكان يخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، ولا تنافي من حيث تقدير المسافة

---

(١) الجحفة: سبع مراحل من المدينة بينها وبين مكة.

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل (٤/١٧٩٦) رقم الحديث (٢٢٩٦).

(٣) أبن ماجة كتاب الزهد باب ذكر الحوض (٢/١٤٣٨) رقم الحديث (٤٣١).

بنحو شهر في بعض الروايات وبنحو شهرين في بعضها الآخر، لأن الله سبحانه تفضل عليه باتساعه شيئاً فشيئاً، فأخبر صلى الله عليه وسلم بالمسافة القصيرة أولاً ثم أخبر بالمسافة الطويلة، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة وهي ما بين صنعاء والمدينة أو كما بين المدينة وعمان (أخرجه ابن ماجة ٢/١٤٣٩).

فعن أنس بن مالك قال: بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغفا إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل وعليه خير كثير، عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب فيختلج العبد منهم فأقول: يا رب إنه من أمتي فيقال: ما تدري ما أحدث بعدك» (سنن أبي داود ـ ٢/١٨٠).

من هذا يتبين لنا أن الحوض هو الكوثر. وإن كان العلماء قد اختلفوا في تفسير الكوثر هل هو الحوض أو غيره (العقائد النسفية ـ ١٣٨).

وقيل: إن الحوض في الجنة ومن قال بهذا شرح الكوثر بأنه نهر أو حوض في الجنة. والكوثر في الجنة اتفاقاً.

ويقال إن الحوض في المحشر بدليل ما روي عن أنس قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل، فقلت أين أطلبك يا رسول الله قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط قلت: فإن لم ألقك قال: فاطلبني عند الميزان؛ قلت فإن لم ألقك قال فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطىء هذه الثلاثة مواطن» رواه أحمد والترمذي وقد استنتج العلماء ومنهم القاضي عياض من هذا الحديث أن الحوض بعد الصراط بسبب هذا الترتيب الوارد في الحديث.

ويدل على أنه في المحشر: ما روي في وصف الحوض يصب فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدها من ذهب والآخر من وَرِق (صحيح مسلم ٤/١٧٩٨).

وبالجملة وجود الكوثر يدل على وجود الحوض لأنه أما نفس الكوثر أو مستمد منه ينصب فيه ماؤه ولهذا ورد في وصف ماء أحدهما مثل ما ورد في ماء الآخر.

والأحاديث الدالة على وصف الحوض أوردهما أئمة الحديث في الفصل المعقود لبيان الحوض وأوردها أئمة التفسير في بيان الكوثر (شرح النسفية ـ ١٣٩).

أما الشرب من الحوض فقد قيل إنه يكون بعد الحساب والنجاة من النار وقيل لا يشرب منه إلا من قدر له السلامة من النار، أما من شرب منه من أمة محمد ﷺ وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ بل عذابه يكون بغير ذلك لأن ظاهر الأحاديث يدل على أن جميع الأمة يشربون منه إلا من ارتد عن الإسلام ولقوله ﷺ في حديث أنس «حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة».

وقد أنكرت المعتزلة الحوض مع أنه لا يجوز إنكار ما صح عن النبي ﷺ في هذا أو في غيره (شرح جوهرة التوحيد ـ ٢٤٠).

يقول القرطبي في التذكرة ص ٣٦٨ ما يلي: ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن حوض النبي ﷺ إنما هو بعد الصراط (الحديث أنس أطلبني عند الصراط ثم عند الميزان ثم عند الحوض). والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثراً والكوثر في كلام العرب الخير الكثير. واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر قال أبو الحسن القابسي والصحيح أن الحوض قبل الميزان والصراط قلت المعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم كما تقدم فيقدم قبل الصراط والميزان.

المحرومون من ورود الحوض: هم الكافرون والمنافقون والمبتدعون الذين يرفضون شريعة الله ويحتكمون إلى المبادىء المستوردة التي تخالف شرع الله. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لا نا ولهم (الماء) اختلجوا دوني (أُبعدوا عني) فأقول أي رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» رواه البخاري ومسلم في صحيحهما زاد في رواية أبي سعيد الخدري فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي» وأخرج الحكيم الترمذي من نوادر الأهوال من حديث عثمان بن مظعون أن النبي ﷺ قال في آخره: «يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة».

نار جهنم وأهلها

جهنم في اللغـة: الجهنام وهـو القعـر البعيـد وجهنـام اسم أعجمي وسميت جهنم لبعد قعرها) لسان العرب ١/٧١٥.

وجهنم في الاصطلاح الشرعي: مقر عقوبـة الكافـرين والعاصين قـال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (الأنفال ٣٧). وقال: ﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ (سورة صٓ - ٥٥/٥٦)

أوصافها: (أ) - عميقة القعر واسعة الأرجاء: قـال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ (ق - ٣٠). وقـال: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾ (الملك ٦) وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ (هود - ١١٩) وفي الحديث حين سألت السيدة عـائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غيـر الأرض فأجابهـا ﷺ على جسر جهنم فيـه دليل على اتساعها ما دام يستوعب كافة الناس وكـذا في الآية: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ (ق - ٣٠) فيـه دلالة كـذلك على اتساعها. وفي عمقها يقول أبو السعود في تفسير (فأمه هاوية) الهاوية اسم للنـار سميت به لغاية عمقها وبعد مهواها. والحديث القـائل «إن الـرجل ليتكلم بـالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً) فيه دلالة على بعد قعرها وفي الحـديث «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» رواه مسلم.

(ب) - **أبوابها سبعة ومغلقة ومظلمة**: قـال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (الحجر ٤٣-٤٤). عن ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن لجهنم سبعـة أبـواب بـاب منهـا لمن سـل سيفـه على أمتي». أخرجـه أحمد والترمذي. ويسمي ابن جـريج أبـوابهـا فيقـول: أولها جهنم ثم لظى ثم الحـطمة ثم السعيـر ثم سقر ثم الجحيم (وفيهـا أبو جهـل) ثم الهـاويـة من وقـع

فيها لم يخرج أبداً. أخرجه ابن أبي الدنيا وغيره. وعن إغلاقها يقول تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ الهمزة وقال: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ (البلد ٢٠) وقد فسر أبو هريرة كلمة موصدة بأنها مطبقة ومما يدل على أغلاقها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر ٧١). وفي ظلمتها يقول تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس ٢٧).

(ج): **شدة حرها وبرد زمهريرها:** في تفسير نار الله الموقدة يقول الإمام الفخر الرازي: إضافة النار إلى الله (نسبتها له) هي للتفخيم إنها نار لا كالنيران ولذلك فهي لا تخمد نارها لأنها موقدة (باستمرار) بأمر الله تعالى وقدرته. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة ٨١) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فنفسني فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر سمومها وأشد ما تجدون من البرد زمهريرها». وعن أبي هريرة رضي الله عنه وصف رسول الله ﷺ النار فقال: «إنه أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة» أخرجه الترمذي.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي يوقد بني آدم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» وروى أبو نعيم بإسناده عن ابن عباس أن كعباً قال: «إن في جهنم برداً هو الزمهرير يسقط اللحم حتى يستغيثوا بحر جهنم» وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم» وفي رواية أبي نعيم «من فيح أبواب جهنم».

(د): **دركات جهنم أو طبقاتها:** لجهنم دركات تحت بعضها البعض كما للجنة درجات فوق بعضها البعض قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء ١٤٥). وقد قرىء الدَرْك والدَّرَك وهما لغتان قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾ (آل عمران ١٦٢) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم درجات الجنة تذهب علواً ودرجات النار تذهب سفولاً.

(هـ): **ايقاد جهنم وتغيظها**: قال قتادة (وإذا الجحيم سعّرت) أي أوقدت وقال السدي أي أحميت قال سعيد بن بشير عن قتادة: يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم (عن التخويف من النار ٩٥) تسجر النار بعد دخول أهلها وتحمى بعد أن تخبو نارها قال تعالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الإسراء ٩٧) أي نارا تتسعر وتتلهب. قال ابن قتيبة خبت النار إذا سكن لهيبها فاللهب يسكن والجمر يعمل قال تعالى: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ (الفرقان ١١ - ١٢) تغتاظ على أهل المعاصي غضباً وانتقاماً لمحارمه وكلما تغيظت ازداد لهبها وشررها.

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الواقعة ٤١ - ٤٤). قال أبو مالك اليحموم ظل من دخان جهنم. وقال الحسن وقتاده في قوله (لا بارد ولا كريم) لا بارد المدخل ولا كريم المنظر. والسموم هي الريح الحارة الحارة قاله قتادة وغيره. هذه الآية تضمنت ذكر ما يتبرد به في الدنيا الماء والهواء والظل. فهواء جهنم السموم وماؤها الحميم الذي اشتد حره. وظلها اليحموم وهو دخانها أجارنا الله منها أما شررها الذي ترمي به فهو قطع من جذوع الشجر طوله حوالي ثلاثة أذرع يزيد النار اشتعالاً ففي صحيح البخاري عن ابن عباس: كنا نرفع من الخشب بقصر ثلاثة أذرع للشتاء نسميه القصر.

(و): **وقودها الناس والحجارة**: قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ (التحريم ٦). وقال تعالى للكفار: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ (الأنبياء ٩٨ - ٩٩) وحصب جهنم ما يرمى فيها فيزيدها اشتعالاً. فالكافرون وآلهتهم حطب جهنم لا يملكون الخلاص منها.

نقل السدي تفسير ابن عباس عن حجارة جهنم بأنها من كبريت توقد بها النار يقال أن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها من الحجارة: سرعة الإيقاد ونتن الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان وقوة حرها إذا حميت.

(ز) ـ **السلاسل والقيود ومقامع الحديد:** وسائل التعذيب فيها، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (غافر ٧٣) وقال: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾ (الانسان ٤) وقال: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ (الحاقة ٣٠ ـ ٣٢) وعن ابن عباس «تدخل السلسلة من دبره وتخرج من حلقه ثم يجمع بين ناصيته وقدميه» (الفخر الرازي ١١٤/٢٠) وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾(ابراهيم ٤٩ ـ ٥٠) وقال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾ (الحج ٢١ ـ ٢٢) قال الضحاك مقامع من حديد أي مطارق وأظن أنها مأخوذة من القمع.

(ح) : **جبال جهنم ووديانها:** ـ روى ابن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «ويل وادي في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره» أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم في صحيحهما. وفي تفسير (سأرهقه صعوداً) سأغشيه مشقه من العذاب والصعود هو العقبة الشاقة وفسره ابن عباس في تفسيره أنه جبل أملس في النار.

(ط) ـ **يقوم بمهمة التعذيب في النار ملائكة غلاظ شداد:** ـ وذكر عددهم بتسعة عشر، مطلقاً فمن المفسرين من قال تسعة عشر ملكاً ومنهم من قال تسعة عشر ألفاً. قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (المدثر ٣٠) وقال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(التحريم ٦).

(ع) : **حال أهل النار:** ـ يستقبل بعضهم مقيدين بالحديد وآخرون يمسك بهم من مقدمة رأسهم وبأرجلهم ويرمون بالنار أجارنا الله منها قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ (الزمر ٧١) وقال: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (غافر ٧١ ـ ٧٢) وقال: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾(إبراهيم ٤٩ ـ ٥٠) وقال: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ (الرحمن ٤١) وقال: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا

فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (الحاقة ٣٠ - ٣١) وقال: ﴿ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴾ (الحج ١٩ - ٢١) وقال: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ (النساء ٥٦) وقال: ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾ (محمد ١٥).

(ك) - طعامهم: قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴾ (الدخان ٤٣ - ٤٦) وقال: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ (الواقعة ٥١ - ٥٦) أخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران - ١٠٢) فقال «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن تكون طعامه» وقال الترمذي صحيح قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ (المزمل ١٢ - ١٣) وقال: ﴿ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ﴾ (الغاشية ٦ - ٧) روى الإمام أحمد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله «طعاماً ذا غصة» قال شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج وعن معنى من ضريع قال شجر في جهنم وقال سعيد بن جبير الضريع السلي بشوك النخل.

(ل) - شرابهم: **النوع الأول الحميم**: قال تعالى:
﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴾ (الواقعة - ٥٤) وقال: ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾ (محمد ١٥) والحميم برأي ابن عباس هو الماء الحار الذي يحرق قال السدي الذي انتهى حره. وقال تعالى ﴿ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ﴾ (الغاشية ٥) عن الحسن كانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حره حتى لا يكون شيء أحرّ منه: لقد آن حره.

النوع الثاني فهو الغساق: - قال ابن عباس الغساق ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه وعن عبد الله بن عمر الغساق القيح الغليظ. قال مجاهد الغساق لا يستطيعون أن يذوقوه من برده والمعروف أن الماء الساخن والماء الشديد البرودة لا يرويان العطاش.

النوع الثالث فهو الصديد قال تعالى: ﴿ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ (إبراهيم - ١٦) وعن النبي في تفسيرها قوله: «يقرب إلى فيه

فيكرعه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه وإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد - ١٥) وقال: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ (الكهف - ٢٩).

النوع الرابع ماء كالمهل: عن أبي سعيد: كالمهل يعني كعكر الزيت وكذا قال ابن عباس قال مجاهد ماء كالمهل مثل القيح والدم أسود كعكر الزيت.

(م) - لباسهم: - قال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم - ٥٠) سرابيلهم يعني قمصانهم من قطران وهو يساعد على الاحتراق. وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ (الحج ١٩) روى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس عن النبي ﷺ قال: «أول من يكسى حلة من نار إبليس يضعها على حاجبه ويسحبها من خلفه ذريته وهو يقول: يا ثبوره وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فيقول يا ثبوره ويقولون يا ثبورهم فيقال: ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ (الفرقان - ١٤) أخرجه الإمام أحمد.

(ن): **صور من عذاب أهل النار**: - في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «إن أهون أهل النار عذاباً رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم» قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ (الحج - ١٩) الصهر هو الإذابة قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ (الرحمن ٣٥) والنحاس يكون مذاباً مصهوراً وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)﴾ (الهمزة ٤ - ٨) قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿**تطلع على الأفئدة**﴾ يعني تأكله النار إلى فؤاده (قلبه) ثم ينشئه الله من جديد. وفي قوله تعالى: ﴿**لواحة للبشر**﴾ قال أبو رزين تلفح وجهه لفحة تدعه أشد سواداً من الليل وقال قتادة حراقة للجلد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (الفجر ٤٧ - ٤٨) وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك ألست كنت تأمرنا بالمعروف

وتنهانا عن المنكر قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»
قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (الفرقان ١٣)
ومن مشاهدات رسول الله أثناء الإسراء والمعراج ما يلي: عن أنس قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي إلى ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس» (يقعون في أعراضهم) أخرجه أحمد بسند صحيح.

ومن حديث أبي سعيد الخدري قال ﷺ: «غمضت هنيهة فإذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس بقربها أحد وإذا أنا بأخونه أخرى عليها لحم قد أروحّ وأنتن عندها أناس يأكلون فيها قلت يا جبرائيل من هؤلاء قال: هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال. قال ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل قال فتفتح أفواههم فيلقمون من ذلك اللحم ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل فقلت ما هؤلاء يا جبرائيل قال: هؤلاء من أمتك: «الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً» ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بنساء يعلقن بثديهن فسمعتهن يضججن إلى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء النساء قال هؤلاء الزناة من أمتك ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خرَّ فيقول اللهم لا تقم الساعة قال وهم على سابلة إلى فرعون قال فتجيء السابلة فتطؤهم قال فسمعتهم يضجون إلى الله قال قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس. قال ثم مضيت هنيهة فإذا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت لجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون» وفي رواية أبو هريرة قال: «ثم أتىٰ على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال: ما هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتىٰ على قوم على إقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ويأكلون الضريع (شجر الشوك) والزقوم ورضف جهنم (حجارتها) قال فمن هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى وما الله بظلام للعبيد ثم أتىٰ على قوم بين أيديهم لحم نضج في قدر ولحم آخر نيء

قـذر وخبيث فجعلوا يـأكلون من اللحم النيء الخبيث ويدعـون النضـج الـطيب فقال من هؤلاء يا جبريل فقال: هذا الـرجل من أمتـك تكون عنـده المرأة الحـلال الـطيبة فيـأتي امرأة خبيثـة فيبات عنـدها حتىٰ يصبح والمرأة تقـوم من عنـد زوجهـا حـلالاً طيباً فتـأتي رجـلاً خبيثـاً فتبيت عنـده حتى تصبح ثم أتى على قـوم تقـرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عـادت كما كـانت لا يفتر عنهم من ذلـك شيء فقال من هؤلاء يـا جبريـل فقال: هؤلاء خـطباء الفتنـة يقـولـون مـا لا يفعلون».

أكثر أهل النار: - في الحديث عن عمـران بن الحصين قال رسـول الله ﷺ: «أطلعت في الجنـة فرأيت أكثـر أهلها الفقـراء وأطلعت في النار فـرأيت أكثـر أهلهـا النسـاء» حـديث صحيـح رواه البخـاري ورد في فتـح البـاري (١١/٣٥) ذلـك لأن أكثـر النساء عـاطفيات يغلبهن الهـوى والميل إلى المـظاهر الـدنيويـة الخادعـة ممـا يسهل على بعضهن الوقوع في المخالفات الشرعيـة حفظنـا الله منها وأمـا أكثر أهـل الجنة الفقراء يعني أن أكثـر الأغنياء في النـار أجارنـا الله منها ذلـك لأن المال كثيـراً ما يفتن صاحبه فيوقعـه في المعاصي والكبـر والترف وحـرمان الفقـراء من حقهـم في مـال الله الذي استخلفـه فيه ففي الحـديث عن حارثـة بن وهـب أنه سمـع النبي ﷺ يقـول: «الا أخبركم بـأهل النـار قالـوا بلى قـال: «كـل عتـل جـواظ مستكبـر» رواه مسلم. وهل يستكبر الفقير أم الغني؟.

هذه بعض مشاهد العذاب في النار أجارنا الله منهـا أليس في ذلك دافـع لكي نتقي ما يقربنا منها ويباعدنا من الجنة. إذا كـان جسمنا لا يحتمـل نار الـدنيا فكيف بنـار الآخرة أجـارنا الله منهـا. فأسلك يـا أخي السلوك الـذي يبـاعـدك عنهـا اتقـاء عـذابها وخـذ بيد أهلك وأولادك لإبعـادهم عنهـا تكن من النـاجين﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ (التحريم - ٦).

الجنة وأهلها

الجنة لغة: - هي البستان أو الحديقة ذات الشجر والنخل كما في لسان العرب ١/٧٠٥ والجنة من مصدر جنَّهُ جناً إذا ستره فكأنها سترة واحدة لشدة التفافها وإظلالها. وهي في الاصطلاح الشرعي: - دار النعيم في الآخرة وجزاء المتقين الصالحين. قال ﷺ حاكياً عن ربه: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» رواه البخاري ومسلم. وقال ابن عباس رضي الله عنه «الجنان سبعة: جنة الفردوس وجنة عدن وجنة نعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليّون» وسميت جميعها بدار المقامة ويرى ابن القيم في كتابه حادي الأرواح ص ١٦٥: إن هذه الأسماء كلها صفات للجنة وليست أنواعاً لها ذلك لأن الله سماها جنات جمع جنة وذلك يعني عدم تعددها.

الجنة درجات: - تتفاوت بتفاوت صلاح المؤمنين قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة - ١١) وقال: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ عَلَى الْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٥ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء ٩٦) وقال: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء - ٢١). عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم». قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» رواه البخاري ومسلم. عن عبادة بن الصامت قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تتفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس» رواه الترمذي وهو حديث صحيح رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. عن فضالة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: - «أنا زعيم (ضمين) لمن آمن بي وأسلم وهاجر - بيت في ربض الجنة (أي أعلاها) وبيت في وسط الجنة وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله بيت في ربض الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في أعلى غرف الجنة ومن فعل ذلك فلم يدع للخير

مطلباً ولا من الشر مهرباً يموت حيث شاء أن يموت». رواه النسائي وابن حبان في صحيحه. فمقام المؤمنين في الجنة يتناسب مع صدق إيمانهم والتزامهم بتعاليم الإسلام فكلما كان الالتزام كبيراً والإقبال على الطاعة عظيماً كلما ارتفعت منزلة صاحبها في الجنة على منزلة من هم أضعف التزاماً وأقل طاعة ذلك لكي يتنافس المتنافسون في الطاعة وفعل الخير ليصلوا إلى أعلىٰ درجات الجنة جعلنا الله في أعلى درجاتها.

أقسام الجنة: - وقد أشارت الآيات إلى أن الجنة أربعة أقسام تتفاوت درجة ورفاها وسعادة وأنساً قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن: ٤٦) ووصفهما بأنهما «ذواتا أفنان» «فيهما عينان تجريان» إلى آخر الآية وقال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن - ٦٢) يعني دون الجنتين السابقتين منزلة وسعادة ووصفهما بأن فيهما عينان نضاختان ﴿وفيهما فاكهه ونخل ورمّان﴾. إلى آخر الآية ودون في اللغة: هي نقيض فوق وهذا يعني أن الجنتان الأخريان دون الجنتين الأوليين في المنزلة. يقول القرطبي في التذكرة أن الجنة أربعة أنواع جنتان من فضة وجنتان من ذهب وفق إشارة حديث رسول الله عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال رسول الله ﷺ: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب وما فيهما. وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» رواه مسلم في صحيحه والترمذي.

والجنة أمل الطامعين وسلوى المحرومين من المؤمنين إذ لا فائدة من حياة دون أمل محقق قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (التوبة-١١١) ومن أصدق من الله وعداً. هل هناك حافز يدفع المؤمنين إلى بذل الجهد والتضحية والفداء كضمان الأجر عند الله في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين وهل هناك ضمان لحسن المصير أكثر من ذلك فطوبى للفائزين.

روّاد الجنة كما وصفهم القرآن: -

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم ٦٢) وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات ٤٠ - ٤١). ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون ١) ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة ١١١) وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩ النساء) ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء ١٣).

وقال: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر ٤٠). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الصف ١٠ ـ ١٢).

رواد الجنة كما وصفتهم السنة: ـ ثمن الجنة صدق واستقامة على نهج الله تعالى. روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه فلما ولى قال النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» وفي رواية «أفلح الأعرابي إن صدق». روى الإمام مسلم بسنده عن موسى بن طلحة عن أبي أيوب قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة ويباعدني من النار قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل ذا رحمك فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: «إن تمسك به دخل الجنة».

وروى الإمام مسلم عن المعرور قال سمعت أبا ذر يحدث عن النبي ﷺ أنه

قال: «أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن زنىٰ وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق» وفي رواية «على رغم أنف أبي ذر» وهذا يفسر بأنه قد يغفر الله له بثواب أعماله فيدخله الجنة أو قد يدخل الجنة بعد عقابه على ذنوبه فلا يخلد في النار ما دامت عقيدته سليمة.

صفات الجنة ومحتوياتها

[أ] - **أرضها وتربتها**: - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال: لبنة فضة ولبنة ذهب وملاطها (طينها) المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران. من يدخلها ينعم لا ييأس ويخلد لا يموت، ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم» أخرجه الترمذي وقال ليس إسناده بقوي. رواه أحمد والدارمي وابن حبان في صحيحه.

أبوابها: - قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ (الزمر ٧٣) وقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ (ص ٥٠ - ٥١) وفي الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين (صنفين من نوع واحد) في شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاةومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام (يعني دعي إلى الجنة من باب العمل الذي قام به) فقال أبوبكر يا رسول الله ما على من يُدعى من أخير تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها فقال ﷺ: نعم وأرجو أن تكون منهم». وعن علي بن أبي طالب قال: إن أبواب الجنة هكذا بعضهما فوق بعض اقرأ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ (الزمر - ٧٣) إذا هم عندها بشجرة في أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداهما فلا يترك في بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ويغتسلون من الأخرى فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤوسهم ولا تتغير أبشارهم بعد هذا أبداً ثم قرأ: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ (الزمر - ٧٣) فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كمايستبشرالأهل بالحميم يقدم من الغيبة فينطلقون إلى أزواجهم

فيخبرونهم بمعاينتهم. يقول القرطبي قال جماعة من أهل العلم للجنة ثمانية أبواب بدلالة حديث البخاري بسنده عن سهل ابن نور أن النبي ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب فيهما باب يسمىٰ الريَّان لا يدخله إلا الصائمون».

وقال ابن القيّم: روى الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن: ﴿ مُفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ (ص - ٥٠) قال: أبواب تُرى (تشاهد).

وذكر عن خليد عن قتادة قال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم وتفهم ما يقال لها انفتحي انغلقي. وقال القزازي: لكل امرىء في الجنة أربعة أبواب فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة وباب يدخل عليه منه أزواجه من الحور العين وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه. وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إن شاء».

يقول الرازي: - إن الأبواب المفتحة تدل على التكريم والحفاوة فهي:

(١) - إما أن تفتح لهم الملائكة الموكلون بالجنان.

(٢) - أو أن هذه الأبواب تفتح لهم من تلقاء نفسها كلما اقتربوا منها وتنغلق كلما أرادوا إغلاقها.

(٣) - أن المراد بفتح الأبواب مشاهدة الأحوال الطيبة لأهل الجنة.

[ب] **أنهارها**: - أربعة قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (محمد ١٥) وتختلف موجودات الجنة عن نظائرها في الدنيا فماؤها لا يتغير طعمه مع طول المكث وحليبها لا يفسد مع الزمن وخمرها لا يسكر ولا يضيع العقل والاتزان وعسلها صافياً عذباً لا غش فيه.

عن أنس قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك قال فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أزفر» رواه البخاري وعن حكيم بن معاوية عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: «في الجنة بحر الماء وبحر اللبن وبحر الخمر وبحر العسل ثم تنفجر الأنهار بعد» إسناده صحيح أخرجه الترمذي والدارمي

وأحمد وابن حبان وأبو نعيم (البيهقي).

(ج) ـ **قصورها وغرفها**: ـ قال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (الزمر٢٠) وقال: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴾ (الفرقان ١٠) وقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (الفرقان ٧٥).

وما قصور الدنيا إلا جزء من معشار الجزء من قصور الجنة أسكننا الله فسيح قصورها. وفي الحديث الشريف «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراؤن الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» رواه البخاري ومسلم. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أو فىٰ وأبي هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبي ﷺ: «هذه خديجة أقرئها السلام من ربها وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب». وفي الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبي ﷺ قال: «أُدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت: لمن هذا القصر قالوا: لشاب من قريش فظننت أني أنا هو فقلت ومن هو قالوا لعمر بن الخطاب». وعن سهل بن سعد قال رسول الله ﷺ: (**أولئك يجزون الغرفة بما صبروا**) وقوله (**وهم في الغرفات آمنون**) قال الغرفة من ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء أو درة بيضاء ليس فيها فصم ولا وصل وإن أهل الجنة ليتراءون الغرفة منها كما تتراءون الكوكب الشرقي أو الغربي الغائر في أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعما» أخرجه الترمذي.

[د] ـ خيامها: ـ قال تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ (الرحمن ٧٢) وخيامها ليست كخيام الدنيا نجد فيها الراحة والنشاط والمتعة والحور العين. روى البخاري ومسلم والترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن» حديث صحيح.

[هـ] ـ **سوق الجنة**: ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن

في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً».

[و] - فرشها ومقاعدها: - قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ «ديباج» (الرحمن ٥٤) وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ (الدهر ١٤) وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (الرحمن ٧٦) يعني متكئين على فرش ذات أغطية خضر وطنافس عجيبة الصنع تسر الناظرين تظللهما أغصان الأشجار المثمرة المترامية الأطراف والتي يسهل قطاف ثمارها للآكلين. قال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ (الانسان ١٤) وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (الرحمن ٥٤) (قريب) وقال: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ (الغاشية ١٣ - ١٦).

وقال: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ (الزخرف ٧١) وقال: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ (الإنسان ١٥). أنعم الله عليهم في الآخرة بما كان محرماً عليهم في الحياة الدنيا من استعمال أواني الذهب والفضة.

[ز] - نساؤها وحورها وغلمانها: - النساء يرجعن إلى شبابهن دون طمث أو ولادة أو مرض. عفيفات وقد كففن بصرهن إلا عن أزواجهن. وهذا غاية ما يطلبه الرجل من زوجته. وقد نزع الله منهن الغيرة والحقد والحسد. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (الواقعة ٣٥ - ٣٧). وقال: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (الرحمن ٥٦) ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (الصافات ٤٨). وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة أطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصيفها (خمارها) على رأسها خير من الدنيا وما فيها) أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وروى مثله في صحيح البخاري وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء ولكل امرىء منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»

وفي حديث أحمد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب». وعن معاذ بن جبل قال رسول الله ﷺ «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين. لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا» إسناده صحيح أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد وأبو نعيم.

وفي حديث الترمذي عن علي بن أبي طالب قال رسول الله ﷺ : «إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نيأس، ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له».

أما غلمانها فهم آية في الجمال وذلك لكي لا تقع عين أهل الجنة على منظر منفر قال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ (الانسان ١٩) وقال: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (الطور ٢٤).

[ق] - **طعام أهل الجنة وشرابهم**: - كل ما تشتهيه الأنفس مما لذ وطاب من لحم وفاكهة وغيرهما قال الله تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (الواقعة ١٧ - ٢١) وقال: ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (الطور ٢٢) ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (الواقعة ٣٢) ليس لها موسم معين تجدها ناضجة في كافة الفصول تجدها مدلاة على أغصانها إذا مدَّ المسلم يده إليها اقترب الغصن منه ليسهل عليه قطافها. قال تعالى: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ (الدهر ١٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة. ومن شرب الخمر في الدنيا ولم يتب عنها لم يشربه في الآخرة. ومن شرب في آنية من الذهب والفضة: لم يشرب بها في الآخرة ثم قال رسول الله هي لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة» أخرجه النسائي.

أما شراب أهل الجنة فهو من رحيق مختوم جديد لم يشرب منه أحد طيب الرائحة والطعم ومزاجه من تسنيم (عين في الجنة) قال ابن عباس أشرف شراب

أهل الجنة هو تسنيم لأنه يشربه المقربون صرفاً ويخرج لأصحاب اليمين (الفخر الرازي ص ٩٩) وهو شراب طهور جزاء طهارة المسعى.

[ك]- **حالة أهل الجنّ**: - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «يبعث الله أهل الجنة علىٰ صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنىٰ شبابهم» إسناده صحيح إذا صح سماع هارون من أنس أخرجه الطبراني وأبو نعيم.

وعن أبي سعيد الخُدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «ينادي مناد أن لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبداً وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وأن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبداً وأن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبداً وذلك قوله عز وجل: ﴿ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف - ٤٣) رواه مسلم في صحيحه.

عن ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن رجل عن أبي قلابة قال: يؤتون بالطعام والشراب فإذا كان في آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتخمر لذلك بطونهم وتفيض عرقاً من جلودهم أطيب من ريح المسك ثم قرأ (شراباً طهوراً).

[ل]- **التزاور في الجنة**: من تمام المتعة في الجنة أن يلتقي المؤمن بأصدقائه المؤمنين الذين آخاهم في الدنيا يقول تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الطور ٢٥/٢٨) ففي شطر من حديث رواه الترمذي بسنده عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه وقال اسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أفيها سوق قال نعم أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور».

[هـ]- **رؤية الله تعالى**: ويتم أبا هريرة الحديث فيقول قلت يا رسول الله: «وهل نرى ربنا قال نعم هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا قال

كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة» ويقول تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة ٢٢/٢٣) ذلك لأن رؤية الله تعالى من أكبر ألوان النعيم الذي منَّ الله به على عباده المؤمنين في الجنة والإستمتاع بالنظر إليه والسعادة برضوانه .

[و] **الخلود في الجنة**: - هو النعيم المقيم والسعادة الخالدة في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين حازوا على رضاء الله فاستقاموا على منهجه وأقبلوا على طاعته وابتعدوا عن معصيته فأقبلوا على الله بوجوه بيضاء مستبشرة مطمئنين إلى حسن المصير. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (البينة ٧ - ٨) وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ (الكهف ١٠٧) وقال ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (هود - ١٠٨) ويشرح الشيخ ابن عاشور الاستثناء في تفسيره التحرير والتنوير ١٦٥/ ١٠ بقوله: (استثناء الأزمان التي عمّها الظرف في قوله **(ما دامت)** أي الأزمان التي شاء الله فيها عدم خلودهم ويتبع ذلك استثناء بعض الخالدين تبعاً للأزمان والاستثناء يحتمل معنيين:

الأول: مدة دخول عصاة المؤمنين النار قبل أن يعفوا الله عنهم. والثاني يحتمل أن يقصد منه التحذير من أن يتوهم أحد أن هذا النعيم مقالة على الله بل هو مظهر من مظاهر الفضل والرحمة والخلود بفضل الله محقق.

كما دلت السنة على خلود أهل الجنة في الجنة فقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعله الله بين الجنة والنار ثم يُذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم».

الفصل السادس

خلق الجنة والنار

الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ومنذ بدء الخليقة هذا ما ذهب إليه أهل السنة، وأنكرت ذلك المعتزلة وقالت أنهما ستخلقان يوم الجزاء[1] وحجتهم في هذا:

(١) ـ أن خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث لأنهـا تصير معطلة مدداً متطاولة[2] والجواب:

[١] ـ نصوص الكتاب والسنة التي تدل على أن الجنة والنار مخلوقتان منها مثل:

(أ) ـ قوله تعالى: في حق الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3] وعن النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[4] بلفظ الماضي[5] أعدت أي هيئت في الماضي فالاعداد دليل الخلق والإيجاد[6].

(ب) ـ قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[7].

---

(١) شرح العقائد النسفية (١٣٩).

(٢) شرح الطحاوية (٣٥٤).

(٣) آل عمران (١٣٣).

(٤) سورة آل عمران (١٣١).

(٥) شرح المواقف ج (٢) ص (٤٤٥).

(٦) التذكرة (٤٧٠).

(٧) سورة الزمر (٧١).

وقال أيضاً: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (الزمر - ٧٣).

والسوق لا يكون إلا إلى شيء معد وحاضر.

(ج) - قوله ﷺ في عدة أحاديث، (رأيت الجنة والنار) (رواه مسلم).

(د) - عن عمر رضي الله عنه: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) (رواه مسلم في صحيحه).

(هـ) - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة، قال لجبريل: إذهب فانظر إليها» (فتح الباري ٦/ ٣٢٠).

[٢] - ربما هناك حكمة من وراء خلق الجنة والنار لا نعلمها نحن البشر (كأن يكون نوع من الترهيب والترغيب للعباد عندما تعلم أن مصيرها إلى النعيم وإلى الجحيم حاضر وموجود).

ولا ضرورة في العدول عن ظاهر هذه النصوص (كأن يحمل على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي مبالغة في تحققه مثل قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ وقوله تعالى أيضاً: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ (ونحوهما) فإن عورض بمثل قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ (القصص - ٨٣) قلنا: إن الفعل المضارع إذا تجرد عن أحرف الحال والاستقبال احتمل الاثنان معاً والدليل إذا تطرأ إليه الاحتمال سقط به الاستدلال. والاستدلال موقوف على كون الجعل بمعنى الخلق ويحتمل أن يكون بمعنى التصيير فيكون المعنى تخصيص.

الجنة يوم القيامة للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، وهذا لا ينافي وجودها الآن. أو يكون جعل الدار لهؤلاء القوم تمكينهم من التمكن فيها، وهذا المعنى أيضاً يستلزم وجود الجنة (شرح النسفية - ١٣٩).

ثانياً: قالوا: لو كانت الجنة والنار موجودتين، لما جاز هلاك أكل الجنة. لقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ [١] .ولكن اللازم باطل لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ

---

(١) سورة الرعد: (٣٥).

﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[1]. والجواب أن المراد من عدم دوام الأكل أنه إذا فني شيء منه جيء ببدله وذلك بغيه التجديد.

حاجة المجتمع الانساني الى الايمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر ذو أهمية كبيرة في حياة المسلم، إنه يدفعه إلى العمل الجاد المنضبط بروح متفائلة مطمئنة، وهو ذو أثر عميق في التربية النفسية والإجتماعية. واليكم أهم آثار الإيمان باليوم الآخر في النفس والمجتمع.

[١] - تخفيف وقع المصائب على النفس الإنسانية:

يعيش الإنسان في هذه الحياة يكد ويكدح ليكسب قوته وقوت عياله، ويتطلع لتحقيق آماله يخفف عنه عناء التعب من حوله ممن يرتاح للقائهم: والديه، زوجته أولاده، أقاربه وأصدقائه. وبينما هو في معترك الحياة يفاجئه ملك الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات وهو لا يملك له رداً ولا لدعوته تأخيراً. فيسلمه أغلى ما لديه روحه التي بين جنبيه. تاركاً أحبابه وأصحابه، وأمواله وأملاكه. يذهب فريداً وحيداً لا يؤنسه إلا ما قدم من عمل صالح وما تزود من زاد، فإن خير الزاد التقوى. فلو لم يكن هناك لقاء آخر في العالم الآخر يسعد فيه الأب بلقاء ابنائه والأبناء بلقاء والديهم والزوج بلقاء زوجته والزوج بلقاء زوجها والأخ في الله بلقاء أخوانه، والمؤمنون بلقاء حبيبهم رسول الله ﷺ لكان الموت صدمة أليمة ووقعها على النفس عظيماً. لذا كان اليوم الآخر نعمة من الله ورحمة بالمؤمنين. كما أن اطمئنان المفجوعين إلى حسن خاتمة موتاهم يخفف عنهم ألم الفراق ويمنيهم بأمل اللقاء.

[٢] - وهو ضروري لإقامة الحق والعدل:

لأن الإنسان بفطرته يحب العدل ويكره الظلم والإيمان باليوم الآخر خير ضمان لسيادته وذلك لأن الإنسان اجتماعي بطبعه مضطر للعمل والتعاون مع الآخرين وهو مفطور على حب الجاه والمال ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (العاديات - ٨) فإنه إذا لم يقنع بما قسم الله له: اندفع للاعتداء على الآخرين، ويقع الصراع بين الحق والباطل. وقد يتغلب أهل

---

(١) سورة القصص (٨٨).

الباطل على أصحاب الحق فإن لم يكن هنالك أمل في استرداد الحق ولو بعد حين في عالم ينصف فيه المظلومون من الظالمين: عاش الانسان معذباً مقهوراً، حاقداً مهموماً، ينزع إلى الشر والانتقام دون ضوابط فهو إما أن يلجأ إلى ظالم أشد منه قوة ليأخذ له حقه ممن ظلمه، أو قد يدفعه رد الفعل إلى الظلم والانحراف والاحتيال كرد فعل ليخفف بعض ما وقع عليه من ظلم. لذا كان الإيمان باليوم الآخر رحمة من الله بعباده يعطي المظلومين أملاً في استرداد حقهم يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. وذلك بالأخذ من سيئات المظلومين وطرحها على سيئات الظالمين أو بالأخذ من حسنات الظالمين وطرحها فوق حسنات المظلومين.

[٣] - وهو ضروري لضبط السلوك من الانحراف:

نرى ضعفاء الإيمان والذين لا يؤمنون باليوم الآخر يقبلون على الدنيا بنهم شديد. الحياة عندهم مادة وحسب إنها غايتهم في الحياة. يعملون لها ليل نهار. يجمعون ما يمكنهم جمعه للاستمتاع في هذه الحياة دون حدود ولا ضوابط. لا مانع لديهم أن يستغلوا الفقراء والضعفاء ولا مانع لدى الفقراء أن يحتالوا على الأغنياء ليأخذوا منهم ما يؤمن لهم الاستمتاع في هذه الحياة. إنهم في سباق مع الزمن قبل أن تنقضي الحياة التي ما بعدها حياة بنظرهم فإذا لم يتمكنوا من تحقيق متعهم عاشوا في ضيق وتشاؤم قد يقعد بعضهم عن العمل. أما المؤمنون باليوم الآخر فالمادة عندهم وسيلة للعيش الكريم يبذلون الجهد، يخلصون في أعمالهم فإن لم يجدوا سعة للاستمتاع بنعم الله التي أحلها لعباده صبروا راضين ومتفائلين بما بشرهم الله به في اليوم الآخر في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر لذا كان الإيمان باليوم الآخر مدعاة للعمل بروح متفائلة لا يعتريها ملل ولا فتور ولا جشع ولا طمع. وهو بالتالي يساعد على تحمل العنف وشظف العيش فعندما ضاقت زوجات النبي بعيشة التقشف والفاقة طالبنه بحياة منعمة فجاء تخييرهن من الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ (الأحزاب ٢٨ - ٢٩).

[٤] - يحض المؤمنين على فعل الخير:

الذين لا يؤمنون باليوم الآخر يحجمون عن فعل الخير. إنهم قاموا بالتزاماتهم

تجاه أسرهم ولا ضرورة لمساعدة المحتاجين أو المساهمة في المشاريع الخيرية والإنسانية فهم أولى من غيرهم بهذا المال يستمتعون به كيف يشاؤون إذ لا مبرر عندهم لتقديمه للآخرين إذا لم يعد عليهم بالفائدة الشخصية في هذه الحياة التي ما بعدها حياة بتصورهم.

أما الذين يؤمنون باليوم الآخر فيقبلون على فعل الخير بنفوس متعطشة لرضاء الله. وما يقدموا من خير يجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً، في حياة أبدية تغمرها السعادة والنعيم المقيم.

[٥] - يقوي الوازع الداخلي والرقابة الذاتية:

اشتغل الذهن الإنساني منذ القدم بكيفية إجبار الناس على سلوك طريق الحق. فإذا ارتدعت الرعية خوفاً من السلطة فمن الذي يردع السلطة إذا جانبت الحق والصواب؟ إن رهبة عقاب الدنيا لن تنجح في قمع انحرافات الإنسان فالجميع يعرف طرق الكذب والرشوة والمحسوبية واستغلال النفوذ التي تحول دون العقاب، ولن ينفع أسلوب في قمع الجرائم إلا الدافع المنبعث من داخل قلب الإنسان وهذا غير متاح إلا في عقيدة الآخرة.

يقول فولتير: «إن أهمية الإله والحياة الآخرة عظيمة جداً حيث أنهما أساسان لإقامة المبادىء الأخلاقية» .

إن الذين يرون أن الآخرة فكرة خيالية ينبغي أن يفكروا: كيف أصبحت فكرة خيالية ذات أهمية قصوى بالنسبة إلى واقع حياتنا؟ لماذا لا نستطيع بدونها إقامة نظام اجتماعي سليم؟ إن الحاجة إلى الآخرة أمر ملح لتنظيم الحياة على أسس عادلة حقيقية.

حين ينتفي الإيمان باليوم الآخر ينعدم الوازع الداخلي فما دام ليس هنالك بنظرهم حياة أخرى ولا جنة ونار ولا نعيم وجحيم ولا حساب وعذاب فما هو المبرر لكبح جماح النفس ومقاومة الشهوات فلينطلقوا إذا دون حدود أو ضوابط ما دام أحدهم يصل إلى ما يريد في غيبة القانون بعيداً عن رقابة السلطة ورجال الأمن.

أما المؤمنون باليوم الآخر فيحسبون لرقابة الله حساباً قبل حساب القانون ورجال الأمن لأنهم إن نجوا من عقاب القانون فلن ينجوا من عقاب الله الذي

يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وما قصة البنت التي طلبت منها أمها أن تضيف الحليب ماء فكان جوابها الخالد الذي تتندر به السنة المؤمنين قالت لها: لئن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا. أليس في ذلك دليل على أثر الوازع الديني الذي تمتاز به الشريعة الدينية عن القوانين الوضعية وما هذا الوازع إلا ثمرة من ثمرات الإيمان باليوم الآخر والخوف من عقاب الله آنذاك. سئل أعرابي: أتصوم في هذا اليوم الحار قال نعم أصومه ليوم أحر منه.

[٦] - يبعث في النفس الطمأنينة:

إن شعور المسم النفسي بأنه في دار ابتلاء ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل ٤٠) وأن مرده إلى الله في دار البقاء دار ينال فيها الناس نتيجة عملهم في الحياة الفانية كما ينال الطالب نتيجة دراسته في آخر العام فيأخذ المقصرون كتابهم بشمالهم منكسي الرؤوس يقول الواحد منهم: **﴿يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانية﴾**. أما المؤمنون الطائعون فيأخذون كتابهم بيمينهم مرفوعي الرؤوس يقول الواحد منهم مفتخراً: **﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية﴾**. هذا الشعور وهذا التصور هو الذي يبعث الأمل في النفس الإنسانية والتفاؤل والطمأنينة لا يبالي بالمصاعب والعقبات ذلك لأن أجره محفوظ وحقوقه مصانة وحسابه مع الظالمين بين يدي أحكم الحاكمين وأقوى الأقوياء من إذا أخذ الظالم لم يفلته. وتعليل النفس بالآمال يعينها على الرضا بالمتاعب ويحبسها عما تكره لتنال ما تحب، في الحياة الباقية ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت ٦٤) والحيوان تعني الحياة الحقيقية.

[٧] - عقيدة اليوم الآخر تحض على العمل والبعد عن الكسل:

يظن البعض أن الإيمان باليوم الآخر يقعد صاحبه عن الجد والعمل منتظراً الطيبات يوم القيامة ويقعده عن العمل لنيل حقه على أمل أن يأخذه يوم القيامة وهكذا، ولكن هذا التصور خاطىء من أساسه، لأنَّ تعاليم الإسلام تحارب الكسل وتدعو إلى الجد والعمل ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة ٨) ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة ١٠٥)
- ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف ١١٠) فإن لم ينل المسلم بغيته من متع الحياة في الدنيا بعد بذل الجهد عوضه الله خيراً منها في الآخرة إن عف واستقام. وإن حاول أن ينال حقه من الظالمين ولم يفلح. أخذ الله له حقه يوم القيامة بكل تأكيد فما عليه إلا بذل الجهد وحسن القصد والتوكل على الله والنتائج بعد ذلك بيد الله تعالى.

[٨] - الإيمان باليوم الآخر يرفع الروح المعنوية للمستضعفين ويبعث العزة في نفوس المؤمنين.

كثيراً ما يرى المؤمنون المنحرفون والملحدون والظالمون والمفسدون والمنافقين في نعمة ورخاء وعز وسلطان وكثيراً ما يلقون منهم ضروب الظلم والأذى والهزء والسخرية والتطاول والافتراء فيقابل المؤمنون ذلك بترفع واستعلاء دون ضعف أو تخاذل لأن القوي بنظرهم هو الله فلا يهابون طواغيت الأرض ولا يهادنونهم أو يتقربون منهم ويصبر المؤمنون أمام ذلك الابتلاء بنفوس صابرة محتسبة مطمئنة إلى أن الآية ستنعكس في دار العدل والبقاء فتنقلب غطرستهم إلى ذلة وانكسار، وقوتهم إلى ضعف، وسخريتهم بالمؤمنين إلى تودد واستعطاف.
اسمع أن شئت إلى قوله تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ (آل عمران ١٩٦). ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ (الحديد ١٣).
ولقد فصل القرآن في مشاهد اليوم الآخر ليكون عبرة للمؤمنين ونذيراً للكافرين يدفع المتعقلين إلى الاستقامة على منهج الخير والصلاح في الدنيا ليسعدوا في الآخرة.

[٩] - يضفي السعادة على أفراد المجتمع كافة:

إن المجتمع الذي يحسب فيه لله حساباً ويتزود المرء فيه لآخرته عملاً

صالحاً وسلوكاً مستقيماً طاعة لله تعالى وخشية من عقابه. يعيش الفرد فيه سعيداً آمناً، حراً كريماً. لذا كان الإيمان باليوم الآخر ضرورة اجتماعية إنسانية يجب أن نحرص على سيادتها بين أفراد المجتمع كافة. لأن المجتمع الذي لا يؤمن باليوم الآخر تسوده شريعة الغاب، الحق فيه للأقوىٰ والبذل فيه للكسب الشخصي، الخير فيه معدوم والرحمة مفقودة والانسان فيه تعيس معذب.

[١٠] ـ مصلحة الوطن في الايمان باليوم الآخر:

كما أن الإيمان باليوم الآخر ضرورة وطنية ذلك لأن المجتمع المثالي الذي يعرف كل مواطن فيه واجباته تجاه وطنه فيؤديها ويخشى أن يحاسبه الله يوم القيامة عن التفريط فيها يسهر للدفاع عنه ويعتبر نفسه على ثغرة من ثغوره فلا يسمح لأحد أن ينفذ من قبله، يجعل هذا الوطن منيعاً مصاناً عزيزاً كريماً.

اللهم إنا نشهد أنك أنت الله لا شريك لك ونشهد أن ملائكتك جندك المطيعون ونشهد بصحة كتبك وبصدق رسلك وبأن الساعة حق وأن الحساب حق وأن النار حق وأن الجنة حق فاكتبنا مع الشاهدين. والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

وأخيراً وبعد هذه الدراسة الموضوعية لليوم الآخر في الشرائع السماوية لا يسعني إلا أن أقول وكما بدأت الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. الحمد على نعمة الإسلام وكفى بها نعمه. ففي زمن طغيان المادة وانتفاشها الفارغ وتمكنها من بعض القلوب والعقول التي حجبتها عن نور الإيمان قال سبحانه: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾. فأصبحوا لا يؤمنوا إلا بالمحسوس الملموس.

في هذا الزمن بالذات نجد أن الكثيرين آمنوا بالغيب إيمانهم بالشهادة وهذا الإيمان لم يكن سعة في الخيال أو قصوراً في العقل أو هروباً من واقع، بل إنه إيمان شيد وقام على ركائز أساسية متينة، إيمان اعتمد على العقل قبل النقل وعلى الحجج المنطقية الدامغة.

ولهذا كان الإيمان باليوم الآخر إيماناً راسخاً رسوخ الجبال الرواسي شامخاً إلى عنان السماء عميقاً أعمق من خفايا النفوس.

وقد أثبت العلم الحديث ذلك بما لا يدع مجالاً للشك ضمن أدلة منطقية علمية واضحة ثابتة مما حدى بأحد العلماء وهو الدكتور دوكاس ليقول: «ويتضح من هذا أن عقيدة بقاء الحياة بعد الموت ـ التي يؤمن بها الكثيرون منا كعقيدة دينية ـ ليس من الممكن أن تكون واقعاً فحسب وإنما لعلها هي الوحيدة من عقائد الدين الكثيرة التي يمكن إثباتها بالدليل التجريبي» (الإسلام يتحدى ـ ١٤٨).

ولهذا سقت في دليل الآخرة من البراهين والأدلة ما تكفي لإثبات هذا الركن الركين من إيماننا القويم اعتماداً على العلم والعلماء حتى بدا الأمر وكأنه حاضر أمامنا واقع لا محالة في مستقبلنا سائرين إليه بخطى سريعة صائرين إليه طوعاً أو كرهاً.

قال تعالى :

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (فصلت ـ ١١). وفي هذا إيماءة عجيبة إلى انقياد هذا الكون بما فيه ومن فيه للناموس الالهي وإلى اتصال حقيقة هذا الكون بخالقه اتصال الطاعة والاستسلام لكلمته ومشيئته «ولقد سرت هذه الايماءة العجيبة بالخلق سريانها بالأرض والسماء إلا من حق عليه العذاب ممن انقاد إلى النواميس الكونية مكرهاً غير طائع.

فيا لرضى وسعادة وراحة وطمأنينة القلوب في رحلتها القصيرة على هذا الكوكب الطائع الملبي السائر في رحلته الكبرى إلى ربه في نهاية المطاف (الظلال ٧/٢٣١).

وبناء على هذه الحقيقة البينة في كتاب الله تعالى واعتماداً على هذا الناموس الالهي نجد من خلال استقصاء عقائد الأمم والشعوب والحضارات القديمة من ناحية الاعتقاد بالحياة الأخرى بعد الموت نجد أن معظمها اعتقدت بالحياة الآخرة مع شيء من الاختلاف حول طبيعة هذه الحياة. ويرجع سبب ذلك إلى تحريف القساوسة والرهبان.

أما في الإسلام فقد قيض الله تعالى لهذا الدين ـ الذي كتب له الخلود والذي جعله الله خاتم الرسالات وناسخ الشرائع التي سبقته ـ علماء أجلاء حملوا الأمانة وبلغوها اقتداء بالأسوة الحسنة رسول الله ﷺ فتصدوا لمكائد الكائدين وضلالات المضللين والمحرفين وهرطقة الفلاسفة الملحدين فأبانوا دسائسهم وكشفوا زيف ادعاءاتهم وفندوا مزاعمهم. فغدا الإسلام كالطود العظيم شامخاً وراسخاً إلى يوم الدين.

وفي الختام أسأل الله تعالى السداد والرشاد وأن يجنبنا الزلل والخلل ومعذرة عن كل تقصير أو نقص فهي صفة الانسان لأنه لا يستطيع الوصول للكمال، فالكمال لله وحده.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله تعالى

فهرس المصادر والمراجع

(١) ـ القرآن الكريم
(٢) ـ الاسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الأسلام خان، مراجعة وتقديم د. عبد الصبور شاهين، مطبعة المختار الإسلامي، القاهرة.
(٣) ـ ارشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع (على التوحيد والمعاد والنبوات)، للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ـ ١٢٥٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.
(٤) ـ أصول الدين الأسلامي، د. رشدي عليان، د. قحطان عبد الرحمن البدري، دار الحرية للطباعة، بغداد.
(٥) ـ ابن كمونة البغدادي (أعماله وآراؤه)، د. حميد مرعيد رحيم الكبيسي، إشراف الأستاذ ناجي التكريتي.
(٦) ـ الإقتصاد في الإعتقاد، الغزالي الطوسي، مطبعة حجازي بالقاهرة.
(٧) ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة في الأسلام، د. علي عبد الواحد وافي، دار النهضة مصر.
(٨) ـ الأديان القديمة في الشرق، د. رؤوف شلبي.
(٩) ـ أديان الهند الكبرى/ أحمد شلبي، القاهرة.
(١٠) ـ الديانة الفرعونية، أفكار المصريين القدماء عن الحياة الأخرى ـ السيرولسن بدج. ترجمة وتقديم يوسف سامي اليوسف/ دار منارات للنشر عمان الأردن.
(١١) ـ انجيل برنابة ترجمة د. خليل سعادة طبعة دار القلم بالكويت.
(١٢) ـ الأديان دراسة تاريخية مقارنة ـ القسم الأول الديانات القديمة د. رشدي عليان وسعدون الساموك ـ دار الحرية بغداد.

(١٣) ـ البداية والنهاية/ الإمام بن كثير سنة (٧٧٤هـ)مطبعة السعادة بمصر.

(١٤) ـ تهافت الفلاسفة، الإمام الغزالي، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر.

(١٥) ـ تفسير البحر المحيط/ الأمام أبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر ـ بيروت.

(١٦) ـ تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، للإمام النسفي. دار الفكر ـ بيروت.

(١٧) ـ التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الاسلامي، بيروت.

(١٨) ـ تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله بن محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت.

(١٩) ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي (ت ـ ٦٧١هـ)، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٠) ـ تهافت الفلاسفة/ علاء الدين الطوسي ـ الدار العالمية، بيروت.

(٢١) ـ تاريخ الحضارات القديمة ـ طه باقر/ بغداد.

(٢٢) ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

(٢٣) ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول، لإبن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر مكتبة الحلواني ومكتبة الملاح.

(٢٤) ـ الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ ـ ٢٩٧) تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٥) ـ الروح لإبن القيم الجوزية، دار العلوم الحديثة بيروت.

(٢٦) ـ رحلة الخلود، حسن أيوب/ دار الندوة الجديدة ـ بيروت.

(٢٧) ـ رسائل من جهنم ـ تعريب د. جورجي يوسف عقداوي، إعداد القس بيشوى عبد المسيح، دمياط.

(٢٨) ـ رجاء العالم، القس هلال دوس، صدر عن كنيسة الأدفنتست السبتيين، بيروت.

(٢٩) ـ سنن الحافظ ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥) تحقيق عبد الباقي، دار الفكر العربي للطباعة.

(٣٠) ـ شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، للإمام ابن أبي العز الحنفي تحقيق أحمد شاكر.

(٣١) ـ شرح جوهرة التوحيد، للعلامة الشيخ إبراهيم اللقاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣٢) ـ شرح المواقف، عبد الرحمن أحمد الإيجي القاضي، طبع دار الطباعة العامرة، الاستانة.

(٣٣) ـ شرح المقاصد، سعد الدين عمر التفتازاني، طبع دار الطباعة العامرة، الأستانة.

(٣٤) ـ شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، مطبعة دار التأليف، القاهرة.

(٣٥) ـ السيرة النبوية، ابن هشام، دار احياء التراث العربي، بيروت.

(٣٦) ـ صحيح مسلم، للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣٧) ـ صحيح سنن المصطفى ﷺ، جامع امام المحدثين أبو داود سليمان ابن الأشعث السجستاني رحمه الله تعالى، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣٨) ـ الصابئون حرانيين ومندائيين، د. رشدي عليان ـ مطبعة دار السلام بغداد.

(٣٩) ـ العقائد النسفية، للامام أبي حفص عمر بن محمد النسفي، شرح العلامة مسعود التفتازاني، مكتبة المثنى، بغداد.

(٤٠) ـ العقائد الإسلامية، السيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٤١) ـ عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، مطبعة النهضة الجديدة.

(٤٢) ـ عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة.

(٤٣) ـ في ظلال القرآن، بقلم سيد قطب، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

(٤٤) ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني تحقيق عبد الله بن عبد العزيز بن باز. المكتبة السلفية.

(٤٥) ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، الامام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري دار الندوة الجديدة، بيروت.

(٤٦) ـ فهرس الكتاب المقدس، د. جورج بوست، منشورات مكتبة المشغل، بيروت.

(٤٧) ـ القيامة ايمان البعث وفكر التجديد، د. راغب عبد النور/ مكتبة المحبة القاهرة.

(٤٨) ـ قصة الديانات، سليمان مظهر دار الوطن العربي للطبع والنشر.

(٤٩) ـ الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

(٥٠) ـ الكنز الموصود في قواعد التلمود، د. يوسف نصر الله، دار القلم، دمشق، دار العلوم، بيروت.

(٥١) ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف الحافظ نور الدين، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٥٢) ـ مسند أبي يعلى الموصلي/ للإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي، حققه وأخرج أحاديثه حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث.

(٥٣) ـ المسند/ للإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتحب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي، المكتب الإسلامي بيروت.

(٥٤) ـ مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشرق، القاهرة، بيروت.

(٥٥) ـ مقارنات الأديان الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

(٥٦) ـ مقارنة الأديان، أحمد شلبي، دار النهضة العربية، مصر.

(٥٧) ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، دار الهجرة بيروت، دمشق، دار الإيمان.

(٥٨) ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مطبعة بريل مدينة ليدن.

(٥٩) ـ محاضرات في النصرانية/ الشيخ محمد أبو زهرة ـ نشر دار الفكر العربي.

(٦٠) ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، د. طه باقر، بغداد.

(٦١) ـ نقد التوراة في أسفار موسى الخمسة، د. أحمد حجازي، الكليات الأزهرية، مصر.

(٦٢) ـ نزول المسيح في آخر الزمان ، دار النشر المعمدانية، بيروت.

(٦٣) ـ لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ترتيب يوسف خياط ونديم مرعشلي، طبعة دار لسان العرب.

(٦٤) ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة، طبعة دولة قطر.

(٦٥) ـ اليوم الآخر، القيامة الكبرى، د. عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح الكويت.

(٦٦) ـ اليوم الآخر، القيامة الصغرى، د. عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت.

(٦٧) ـ اليوم الآخر، الجنة والنار، د. عمر سليمان الأشقر ـ مكتبة الفلاح، مطابع دار القبس الكويت.
(٦٨) ـ اليوم الآخر في ظلال القرآن، جمع وإعداد أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، بيروت.

فهرس الموضوعات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس